مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة عالميا تصدر دوريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon - Tripoli /Abou Samra Branche P.O.BOX - www.jilrc.com - literary@journals.jilrc.com

ISSN 2311-519X - DOI Prefix: 10.33685/1317 2025 يناير - 93 العدد - العام الثاني عاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية

ISSN 2311-519X

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا

Lebanon - Tripoli /Abou Samra Branche P.O.BOX - www.jilrc.com - literary@journals.jilrc.com

المشرفة العامة: أ.د. سرور طالبي

مدير التحرير: د. جمال بلبكاي

التعريف:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة عالميا تصدر دوريا عن مركز جيل البحث العلمي وتعني بالدراسات الأدبية والفكرية بإشراف هيئة تحرير ولجنة علمية ثابتة مشكلة من أساتذة وباحثين من عدة دول وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

DOI Prefix: 10.33685/1317

اهتمامات المجلة وأبعداها:

ينفتح الخطاب الفكري والأدبي على عدة اعتبارات، ويتموضع ضمن سياق سوسيو ثقافي وسياسي، يجعل من تمثلاته تأخذ موضوعات متباينة، فبين الجمالي والفكري مسافة تماس وبين الواقعي والجمالي نقاط التقاء تكشفها المواقف.

وإيمانًا منا بأن الحرف التزام ومسؤولية، وبأن الكلمة وعي وارتقاء، فإن مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية المجلة الأكاديمية الدولية المحكمة والتي تختص بنشر البحوث الأدبية والمقاربات النقدية والفكرية تسعى لأن تقدم جديدا إلى الساحة الفكرية العربية.

الأهداف:

- نشر المعرفة الأصيلة، وتعزيز الحوار العلمي العقلاني من خلال نشر الرأي والرأي المخالف.
- تلبية حاجات الباحثين وطلبة العلم سواء من ناحية الاكتفاء المعرفي في مواضيع محددة تتماشى وهدف المجلة أم من ناحية النشر وتشجيع البحوث الرصينة والمبتكرة.
- خلق وعي قرائي حدوده التمييز بين الكلمة الأصيلة والكلمة المبتذلة التي لا تقدم جديدا في ظل استسهال النشر مع المتاحات الالكترو نية.

هيئة التحرير:

أ.د. أحمد رشراش (جامعة طرابلس، ليبيا)

أ.د. أمين مصرني (المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر)

أ.د. دين العربي (جامعة الدكتورمولاي الطاهر، الجزائر)

أ.د. عبد الرحمن الأغبري (جامعة أديامان، تركيا)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

ضبط وتدقيق: أ. رؤوف أحمد المل (الجامعة اللبنانية)

اللجنة العلمية:

أ.د. عبد الوهاب شعلان (جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر)

أ.د. ضياء غني لفتة العبودي (جامعة ذي قار، العراق)

أ.د. محمد جواد حبيب البدراني (جامعة البصرة، العراق)

أ.د. مداني زيقم (جامعة سوق أهراس، الجزائر)

أ.د. مليكة ناعيم (جامعة القاضي عياض، المغرب)

أ.د. منتصر الغضنفري (جامعة الموصل، العراق)

د. الحسين محمد ال مهديه (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية)

د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)

د. ظلال سعده (جامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية، تركيا)

د. كريم المسعودي (جامعة القادسية، العراق)

د. مأمون التجاني حسن الدالي (بجامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية)

م.د. نزارراهي خصاف (المديرية العامة لتربية محافظة واسط، العراق)

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

أ.د عبد الرحمن الأغبري (جامعة أديامان، تركيا)

د. سميه حسنعليان (جامعة أصفهان، إيران)

د. سهام حسن جواد السامرائي (جامعة سامراء؛ العراق)

د. عبد الوهّاب الشّتيويّ (كلّيّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة، تونس)

د. هاني إسماعيل رمضان (كلية الإلهيات، جامعة جيرسون، تركيا)

د. وداد عوض الكريم محمد سعيد القرشي(جامعة الجزيرة، السودان)

مركز جيل البحث العلمي
مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية
شروط النشر

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية مجلة علمية دولية محكمة تختص بنشر البحوث الأدبية والمقاربات النقدية والفكرية، تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية:

• أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.

• ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.

• <u>أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:</u>

- عنوان البحث باللغة العربية والانجليزية.
- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية والانجليزية.
- البريد الإلكتروني للباحث.
- ملخَّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12 باللغة العربية والانجليزية.
- الكلمات المفتاحية بعد الملخص باللغة العربية والانجليزية.

• أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.

• أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.

• أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

• أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية بحجم 18 نقطة مع تضخيم الخط.

• أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.

• أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.

• عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الالكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك.

• تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.

• لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها وهي غير ملزمة بتقديم مبررات.

• ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة: literary@journals.jilrc.com

الفهرس

	الصفحة
• الافتتاحية	7
• **النّظرية التّصورية في دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني**؛ صباح علي السليمان (جامعة تكريت، العراق)	9
• **ملامح الدرس الفونولوجي لدى تمام حسان** ؛ د.بن يحي طاهر ناعوس(جامعة غليزان، الجزائر)	27
• **أثرُ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ: دراسةٌ في كتابِ (البيانُ في غريبِ إعرابِ القرآنِ) لابنِ الأنباريّ**؛ ليث النيص (جامعة النجاح الوطنية، فلسطين)	43
• **السّخرية وخرق الأنساق عند شعراء التحامق في الشّعر العباسي**؛ عبد الحفيظ مشكوري (جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب)	61
• **قراءة في كتابي: "دروس في السيميائيات" و"في السيميائيات العربية القديمة" للدكتور حنون مبارك**؛ عبد الله بولنوار - إشراف أحمد البايبي (مختبر الخطاب وتكامل المعارف، الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية، المغرب)	75

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

في كل عددٍ جديد من مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، نفتح نافذةً مشرقة على رحاب الفكرواللغة، حيث يلتقي الإبداع العلمي بالتحليل العميق، ويجتمع عبق التراث بأفق الحداثة. وها نحن اليوم، مع صدور العدد الثالث والتسعين، نقدّم للقارئ الكريم مجموعةً من الدراسات التي تعكس ثراء البحث في علوم اللغة والأدب والنقد.

ينطلق هذا العدد برحلةٍ في نظرية التصوّرعند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، حيث يكشف الباحث عن العمق البلاغي والفلسفي في دلائل الإعجاز، وهو كتابٌ لم يزل ينبوعًا تتدفق منه أسرار البيان العربي. ومن علم المعاني إلى علم الأصوات، يسبر أحد الأبحاث أغوار الدرس الفونولوجي عند تمام حسان، موضحًا إسهاماته في فهم البنية الصوتية للغة العربية.

وفي ميدان الدراسات اللغوية، يتناول أحد الأبحاث أثر الخصوصية اللهجية في توجيه الأحكام النحوية، عبر استقراء دقيق لكتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، مما يضيء على دور التنوع اللغوي في تشكيل القواعد النحوية. أمّا في فضاء الشعر العباسي، فتُقدَّم دراسةٌ تستجلي السخرية وخرق الأنساق عند شعراء التحامق، كاشفةً عن دلالاتها الجمالية والاجتماعية.

ولا يغيب عن هذا العدد الحضور النقدي للمنهج السيميائي، إذ يعرض أحد الأبحاث قراءةً معمّقة في كتابي دروس في السيميائيات وفي السيميائيات العربية القديمة، مما يبرز أثر هذا المنهج في تحليل النصوص وفهم أنساقها الدلالية.

بهذه البحوث المتنوعة، يؤكد هذا العدد من المجلة رسالتها في تقديم دراساتٍ رصينة تثري الساحة الأكاديمية، وتسهم في تطوير المعرفة الأدبية والفكرية. نرجو أن يجد القارئ في هذه الصفحات زادًا علميًا متجددًا، ونرحب دومًا بالأقلام التي تسعى إلى تجديد الخطاب النقدي واللغوي برؤية متبصرة.

والله ولي التوفيق.

مدير التحرير: د. جمال بلبكاي

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

النّظرية التّصورية في دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني

The conceptual theory of the evidence of the miracle of Sheikh Abdul Qaher Al-Jurjani

أ.د. صباح علي السليمان (جامعة تكريت، العراق)

Prof. Dr. Sabah Ali Al-Sulaiman /Tikrit University, Iraq

Abstract:

The conceptual theory is one of the important theories in modern linguistics. It is a mixture of psychology, neurology, and stylistics. There is no doubt that the book "Dala'il al-I'jaz" by Sheikh Abdul Qaher al-Jurjani - may God have mercy on him - is one of the important books in the science of semantics first, and the theories of linguistics second. The coherence of the word to the meaning, the speaker's intention in the event, and the organization of speech are among the important issues discussed in this book, in addition to other linguistic and stylistic issues.

The relationship of the word to the meaning and the organization of speech did not come about randomly, but rather there was a large group of perceptions of the speaker and the addressee when saying the speech and listening to it. The addressee and the speaker have the ability to imagine in narrating the event in front of people, and no matter what difference occurs between scholars about any issue, the perception and intention of the person remains the decisive factor in resolving this disagreement, and this is done by studying the appropriateness of the speech, the culture of the speaker, and the semantic relationships around the text.

Keywords: Conceptualism - Evidence of Miracles - Al-Jurjani – Theory.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مستخلص:

تعدُّ النظرية التصورية من النظريات المهمة في علم اللغة الحديث، فهي مزيج بين النفسية، العصبية، والأسلوبية، ولا شك أنَّ كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله تعالى- يعدُّ من الكتب المهمة في علم المعاني أولاً، و نظريات علم اللغة ثانياً. فتعدُّ ملاصقة اللفظ للمعنى، وقصدية المتكلم في الحدث، ونظم الكلام من القضايا المهمة التي دارت في هذا الكتاب، زيادة عن القضايا اللغوية والأسلوبية الأخرى.

إنَّ علاقة ترابط اللفظ بالمعنى، ونظم الكلام لم يأت اعتباطاً، وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من تصورات المتكلم والمخاطب حين قول الكلام والسماع له، فالمخاطب والمتكلّم عنده القدرة التصورية في سرد الحدث أمام الناس، ومهما يحصل من اختلاف بين العلماء حول أي مسألة يبقى تصور وقصد الإنسان هو الفيصل في حل هذا الخلاف، وهذا يكون عن طريق دراسة مناسبة الكلام، وثقافة المتكلّم، والعلاقات الدلالية حول النَّص.

الكلمات المفتاحية: التصورية – دلائل الاعجاز – الجرجاني – النظرية.

مقدمة:

تعدُّ النظرية التصورية من نظريات علم اللغة الحديث، وهي من النظريات المهمة التي تخاطب ذهن وفكر الإنسان، وما يجول بخاطره وخاطر المخاطب؛ ولأهمية دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني في علم المعاني، وما يحمله هذا الكتاب من أسرار بيانية يرتكز عليها علم اللغة الحديث، فالبحث الراهن يتناول النظرية التصورية في هذا الكتاب، من خلال تقسيمه إلى تمهيد يتعرض للنظرية التصورية لغة واصطلاحاً، أهميتها، إيجابياتها وسلبياتها في الدرس اللغوي الحديث، ثم يتطرق المبحث الأول إلى التصورية اللغوية فيما يخصُّ القواعد اللغوية . أمَّا في المبحث الثاني فيتناول الأسلوبية التصورية فيما يخصُّ نظرية المعنى، ونظم وترتيب الكلم.

مع الاعتماد على مجموعة من المصادر الحديثة، والمراجع القديمة في بيان أثر التصوّر عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، فجاء كلامه صالحاً للدارسين قديما وحديثاً، فهو يحاكي طلبة العلم والعلماء، ويبني أصولاً في علم المعاني النحوية أولاً، وفي نظريات علم اللغة الحديث ثانيا.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

تمهيد:

النظرية التصورية لغة واصطلاحاً، أهميتها، إيجابياتها وسلبياتها:

التصورية لغة مأخوذة من الصَّاد وَالوَاو وَالرَّاء كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَبَايِنَةُ الأُصُولِ... وَمِمَّا يَنقَاسُ مِنهُ قَوْلُهُمْ صَوِرَ يَصورُ، إِذَا مَالَ. وَصُرْتُ الشَّيْءَ أَصُورُهُ، وَأَصَرْتُهُ، ومنه الانعطاف والضم، كقوله تعالى:{**فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ**}[البقرة: 260][1].

أمَّا المعنى اللغوي الأقرب إلى النظرية فهو تصوَّر الشَّيءَ، أي: توهّمَهُ، وتخيَّله واستحضر صُورتَه في ذهنه، ومنه قوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (6)} [آل عمران]: قدَّر أشكالكم، لا يتَصوّره عقلٌ، ولا يُصَدّق [2].

أمّا **اصطلاحاً** فهي الصورة الذهنية التي تستند عليها الكلمة عند السامع أو التي يفكر فيها المتكلم. ومن الأصوليين مثل **الجويني وفخر الدين الرازي** من يذهب إلى أنَّ الألفاظ المفردة لم توضع للموجودات الخارجية بل للذهنية، كذلك المركبات موضوعة للأحكام الذهنية لا للوجود الخارجي، نحو: قام زيد، لا يفيد قيام زيد، وإنما يفيد الحكم به و الإخبار عنه، أمَّا الغربيون فينظرون أيضا إلى أنَّ التصورية تكمن حول اعتبارات ذهنية وفكرية للمعنى وخاصة عند الفيلسوف **لوك**[3]. وتعود جذورها إلى الفيلسوف جون لوك التي سمّاها العقلية، وتكمن نظريته أنَّ الكلمات يجب أنْ تكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص، وأطلق البعض عليها النظرية الفكرية. ويذهب **ياسين بغورة** إلى أنَّ " عالم الأفكار عالم مستقل بذاته، فالدلالات واحدة في جميع اللغات، وإنما الاختلاف أتى من تباين الألسنة، وذهب علماء الألسن المحدثون إلى افتراض وجود عوالم دلالية يجب البحث عن معالمها وسننها بناء على البنية الدلالية حتى أنّ اللغويين المتأخرين اعتبروا أنَّ التصورات والأفكار هي كيان مستقل قد يستغني عن اللغة إذا أراد الأفراد ذلك"[4].

---

(2) ينظر: مقاييس اللغة 3/319- 320، والمعجم الاشتقاقي المؤصل 3/ 1213.

(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة 2/ 1332.

(4) ينظر : سالم سليمان الخماش, المعجم وعلم الدلالة، موقع لسان العرب ، ص44 .

(5) النظريات الدلالية الحديثة – مطارحة نظرية، ياسين بغورة ، ع8 ، 2018) ، مجلة التنوير، ص109.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وتقوم النظرية التصورية على أنَّ المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلّم، ويحصل للسّامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإنَّ عالم الأشياء غير متجانس كما أنَّ التصورات متباينة من فرد لآخر، فتصور شجرة مثلاً يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافا قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء [1].

علماً أنّ الباحثين يفرقون بين المفهوم المحسوس الذي يمثل أفراداً أو أعيانا له خصائص يمكن إدراكها بالحواس الظاهرية، مثل سيارة، شجرة...إلخ، ومفهوم اللا محسوس الذي يمثل أشياء ذات خصائص لا يمكن إدراكها بالحواس مثل مفهوم الحرية والعدل، ولا يقتضي دور المفاهيم على تمثيل الذوات أو الأشياء المعبر عنها بالأفعال والأماكن والأوضاع والعلاقات المعبّر عنها بالظروف وحروف الجر وأدوات الربط والوصل؛ لأنَّ خصائص التصور تنطوي تحت الخصائص الجوهرية وهي المقوّمة بذاتها غير المفتقرة إلى غيرها، والخصائص العرضية وهي الصفات الخارجية عن ذلك المفهوم ولا تقوم بنفسها[2].

أمَّا نظرية **جاكندوف** في النظرية التصورية فـ "تتشكّل في بنية دلالية تلو رؤوسها الفعلية على الأحداث أو الحالات، وتقبل التقسيم إلى خمسة أصناف من الحقول الدلالية هي حقل الزمان، حقل الملكيّة، حقل التعيين، حقل الظرفيّة، والحقل الوجودي. وقد استدلّ **جاكندوف** من خلال هذا التحليل على أنَّ فرضيّة البنية التصوريّة هي التي تحدد الأدوار الدلالية، وأنّ منظومة الأدوار لا تحلل انطلاقاً من المعنى المعجمي المضمّن فيها فحسب، بل وكذلك من خلال علاقة الرأس الفعلي ببقية العناصر التي يقتضيها التركيب"[3].

أمَّا عملية تفكيك الصورة الذهنية فترتبط بـ " آليات بناء الدلالة (المعنى) في اللغات الطبيعية بمجموع أنساق السمات أو المكونات، التي تقوم على النموذج الدلالي، ويتمثل المعنى من خلال عدة عناصر أو مجموعة من المحددات أو الأطر التي يبنى داخلها التصور الذهني للشيء الذي يمكن أنْ نتعرف عليه بالتفكيك، فنرجع كلَّ نسق إلى أصل تكوينه بالمرور بمراحل تكوينه، ونجمل أهم السمات في قاعدة عامة لتكوين المقولات التصورية ... أمَّا علاقة المعنى بالتصور فبناء المعنى يعادل بناء التصور، وهو تلك العملية الدينامية التي تشتغل فيها الوحدات اللغوية كحادثات لمجموعة من العمليات التصورية، وتجنيد المعارف الخلفية. وينتج عن هذه الرؤية شيئا منفصلاً يمكنه أنْ يرزم بواسطة اللغة، فبناء المعنى يسحب من المعارف الموسوعية التي تبنى من خلال سيرورة مباشرة تنجز

---

[2] ينظر :النظريات الدلالية الحديثة – مطارحة نظرية، ياسين بغورة، ع8 ، 2018) ، مجلة التنوير، ص110 .

[3] ينظر: مصطلح التصور أو المفهوم بين علماء اللغة والمناطقة، فتيحة بن يحي، 89-90.

[4] فهم البنية التصورية في المقاربة التوليدية، سرور اللحياني، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 2، 2020 :51.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

على أساس التواتر دون إدراك واع. ويؤكد **لانقاكر** أنَّ البنية الدلالية والتصورية تتألفان من صورتين تمثيليتين متمايزتين بوجود بنية دلالية تسهل الوصول إلى بعض مظاهر البنية التصورية(1).

أمَّا الخلفية الفلسفية لنظرية الدلالة التصورية من **ديكارت** إلى **راسل** فيلخصها **مجدي** بأنَّ" **جكندوف** اعتمد مقاربة منطقية ونفسية للعالم، تفترض الفحص الدقيق لما يوجد في الخارج مع إمكان إعادة النظر إلى طبيعة الأشياء في ذاتها مع ترتيبها ترتيباً جديداً ولكن إنْ بدا اعتماد **جاكندوف** على **راسّل** واضحاً هنا فكيف تخلّى عن المنطلقات الديكارتية؟ يقوم التصور العام في الاتجاه التوليدي على أنّ الدلالة تتواجه مباشرة مع المستوى التركيبي ويضطلع التواجه التركيبي– الدلالي بتحديد دلالات المعنى واحدا واحدا انطلاقا من البنية التركيبية، والافتراض الضمني– والذي نادراً ما يصرّح به حسب **جاكندوف** هو أنَّ الفكر التوليفي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال اللغة التوليفية وهذه الفكرة ديكارتية الأصل.وهي فكرة تنسجم مع التصور الذي ساد في القرن العشرين، والذي يرجع عدم قدرة الحيوانات على التفكير إلى افتقارها لملكة التوليف.وفي مقابل هذا التصور الذي يربط بين الدلالة والتركيب ربطاً وجيهياً في مستوى التمثيل الذهني.ويقدم **جاكندوف** تصوراً ناقداً، اعتمادا على نتائج بحوث العرفان السلوكي الحديث"(2).

أمَّا المآخذ على النظرية التصورية، فهي:

1-"المعنى الذي تقدمه النظرية غير واضح؛ لأنَّ الصور الذهنية للشيء الواحد متعددة ومختلفة. فمثلاً الشكل الهندسي البسيط للمثلث قد يختلف من شخص إلى آخر، فما بالك لو أردنا أنْ نحدد الصورة الذهنية لكلمة بيت، حصان، شجرة، وطريق؟

2-هناك تعبيرات مختلفة قد يكون لها صورة ذهنية واحدة. فلو رأيت طفلاً من بعيد يضرب الأرض بقدميه، فلربما يتألم أو إنّه يدهس على حشرة ليقتلها، أو إنه يلعب أو إنه ضجر.

3-هناك ألفاظ لها صورة ذهنية مبهمة وغير واضحة المعالم ويختلف الناس فيها اختلافا كبيراً خاصة تلك التي تسمى أشياء وهمية كالرخ، العنقاء، السعلاة، والغول، وكذلك التي لها معان عقلية كالظن، الشك، الحب، والصدق.

---

(2) دور التصور الذهني في تشكيل المعنى في ضوء النظرية التصورية –جاكندوف-صالح غيلوس، المجلة العربية مداد، م5، ع12 ،161،2021-162.

(3) الأسس الابستمولوجية لنظرية الدلالة التصورية، مجدي بن صوف، مجلة الممارسات اللغوية، م11، ع4، 2020، 46-47.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

4-من أقوى الاعتراضات على هذه النظرية ما وجهه السلوكيون بأنها تتحدث عن أشياء لا تخضع للنظر العلمي، والفحص، والاختبار كالفكرة، والصورة الذهنية"[1].

إنَّ تصوّر النص عند المؤلف واضح حينما يسأل عنه، بينما عند المخاطب يتغير حسب ثقافة المتلقي، فمن هذا الأمر على الدارس دراسة مناسبة النص، وقصدية المتكلم وثقافته، والسياق العام المحيط حول النّص.

المبحث الأول: قضايا لغوية

تتأثر قواعد اللغة بالنّظرية التّصورية، فمن خلال التصوّر نعرف قصدية المتكلّم والمخاطب، وما يجول حول النّص من عوارض داخلية وخارجية حسب السياق الموضوع لها، ومن هذه **المسائل**:

المسألة الأولى: تعلق النفي بالاسم

قد يتصور دارس أنَّ النفي أُسند إلى ما بعده، والصحيح أنّه نفي؛ لسبب الحدث فمنه قول **الجرجاني**: "مِن شأَنِ هذه المعانيِ أنْ تتناولَ ما تتناولهُ بالتَّقييد وبعد أنْ يُسندَ إلى شيءٍ. معنى ذلك أنك إذا قلتَ: ما خَرج زيدٌ وما زيدٌ خارجٌ لم يكنِ النّفيُ الواقعُ بها مُتناوِلاً الخروجَ على الإِطلاق بلِ الخروجُ واقعاً من زيدٍ ومُسنداً إليه. ولا يغرَّنَّك قولُنا في نحوِ: (لا رجلَ في الدارِ) أنها لنفيِ الجنس فإِنَّ المعنى في ذلك أنَّها لنفيِ الكَينونةِ في الدَّار عنِ الجنس ولو كان يُتصوَّرُ تعلُّق النّفيِ بالاسمِ المفرد لكان الذي قالوه في كلمةِ التَّوحيد من أنَّ التقديرَ فيها" لا إلَه لنا أو في الوجود إلاّ اللهُ " فضلاً من القول وتقديراً لما لا يُحتاجُ إليه وكذلك الحُكْم أبداً"[2].فالإثبات بعد النفي جائز كما تقول: لَا رجل فِي الدَّار، بل رجلَانِ[3]، فإذا كان بعد النفي معرفة مثل زيد فهو أقل شأناً من لو كان الاسم نكرة ؛ لأنَّ لا النافية للجنس لا تعمل إلّا في النكرات[4].ولا يجوز هذا التصور في عبارة التوحيد (لا إله معبودٌ بحق إلّا الله تعالى) امتثالاً لقوله :{ **لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** (22)}[سورة الأنبياء]، أمَّا لا رجل فإنّه نفى جنس الرجال ولم يعقبه بإثبات، فلا يجوز تصور أنَّ النفي متعلق بالاسم الذي جاء بعده فقط، وإنما بالحدث العام، فالإثبات بعد النفي هو الفيصل.

---

(2) المعجم وعلم الدلالة، سالم سليمان الخماش: 45-46.

(3) دلائل الإعجاز: 16.

(4) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص 238.

(1) ينظر: الكناش في فني النحو والصرف 1/ 207.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

المسألة الثانية: دلالة الاسم على معناه

يوضع الاسم دالا على معناه، وهي ليست ملاصقة مقصودة، وإنما اعتباطية اللغة دلّت على ذلك فمن ذلك ما ذكره **الجرجاني** :" وإذا كان هذا كذلك فينبغي أنْ يُنظرَ إلى الكلمةِ قبلَ دخولها في التأليف وقبلَ أنْ تصيرَ إلى الصورة التي بها يكونُ الكلِم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً وتؤديَ في الجملة معنًى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاَّ بضمَّ كلمةٍ إلى كلمةٍ وبناءِ لفظةٍ على لفظةٍ -هل يتصورُ أنْ يكونَ بين اللفظتين تفاضلٌ في الدَّلالة حتى تكونَ هذه أدلَّ على معناها الذي وُضعتْ من صاحبتها على ما هيَ موسومةٌ به حتى يقالَ إنَّ رجلاً أدلُّ على معناه مِنْ فرسٍ على ما سُمي به. وحتى يُتصوَّر في الاسمين الموضوعين لشيءٍ واحد أنْ يكونَ هذا أحسنَ نَبأً عنه وأبينَ كشفاً عن صورته مِنَ الآخر فيكون "الليثُ" مثلاً أدلَّ على "السَّبُع" المعلوم مِنَ الأَسد وحتى إنَّا لو أردنا الموازنةَ بينَ لغتينِ كالعربيةِ والفارسيةِ ساغَ لنا أَن نجعلَ لفظةَ "رجلٍ" أدلَّ على الآدميَّ الذَّكر من نظيرِهِ في الفارسية"[1].فمثلاً صوت الأسد يدلُّ على تهدد من سلطان[2]، فالأسد الأسد يدل على شدة طلبك للفرار من الأسد[3]، فالِاسْم مَا دلّ على معنى فِي نَفسه بِاعْتِبَار نَفسه لَا بِاعْتِبَار أَمر خَارج عَنهُ كيلَا يلْزم الْمحَال[4]. لكنْ في دقة اللغة يراعى المعنى الأدق **فأبو هلال العسكري** قد سمى التوشيح، والأولى الإرصاد؛ إذ ناسب الاسم مسماه ولاق به.وأما التوشيح فهو نوع آخر من التأليف[5].

المسألة الثالثة: الإخبار بالاستفهام

ربما يتصور شخص بأنَّ شخصاً يريد قتله كما جاء في قول **امرء القيس**[6]:[الطويل]

أيقتلني والمشرفي مضاجعي *ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟ علماً أنَّه عاجز عن ذلك[7].

، والدليل بما قاله[8] :[الطويل]

---

(2) دلائل الإعجاز: 52.

(3) ينظر: حياة الحيوان الكبرى 1/ 23.

(4) ينظر :أصول النحو 1/ 459.

(5) ينظر :الكليات 796.

(6) ينظر :الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، 240.

(7) ديوان امرىء القيس: 137.

(8) ينظر :دلائل الإعجاز 105 106.

(9) ديوانه :137.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

يَغُطُّ غَطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ *لِيَقْتُلَنِي والمَرْءُ ليسَ بقتَّالِ

زيادة أنَّ الاستفهام لم يأت بعد اسم كي يكون الشك في الفاعل، وإنما سبقه فعل[1].فالسؤال عن الفاعل يقتضي بالضرورة معرفة فعل محدد معين حتى يقال في الجواب: فعله فلان، ولا يعقل أن يُسأل عن فاعل فعل غير محدد، فلا يقال: أأنت أكلت طعامًا؟ ...وإنما يسأل في مثل هذا عن الفعل فيقال: أأكلت طعامًا؟ [2].

المسألة الرابعة: قصر الجنس

يعدُّ القصر بالفعل من التوكيد؛ لأنَّه يقصر الفعل على شيء وينفي عما عداه، نحو: ما جاءني إلاّ زيدٌ ، وإنَّما يُتَصوَّرُ قَصرُ الفعل على معلوم، وحينما لم يُرِدْ بالنكرةِ الجنسُ لم يَقِفُ منها السامِعُ على معلومٍ حتى يزعُمَ أني أقصُر له الفعلَ عليه وأخبره أنه كان منه دونَ غيره[3].

والقصر أوكد من عدمه، فإذا قلت: أَهَرّ ذَا نَاب شَرّ لَكُنْت على طرف من الْإِخْبَار غير مُؤَكد، فَإِذا قلت: مَا أهرَّ ذَا نَاب إِلَّا شَرّ كَانَ أوكد[4].والغاية من القصر العناية والاهتمام به ؛ لتعظيمه والتأهب له[5].

المسألة الخامسة: التعدية النحو

ربما يتجاهل عن المفعول به في الفعل المتعدي؛ لدلالة ما قبله عليه، كقول **عمرو بن معد**[6]:[الطويل]

فلوْ أنّ قَوْمي أَنْطَقَتني رِماحُهُمْ * نَطَقْتُ ولكنَّ الرّماحَ أجرَّتِ

فلا يقال: أجرتني، وكذلك أنه لا يُتَصَوّرُ أنْ يكونَ هاهُنا شيءٌ آخرُ يتعدَّى إليه لاستحالة أنْ يقول: فلو أنطقتني رماحُهم ثم يقول : ولكنَّ الرماحَ أجرَّت غَيري...[7].

والسببُ في ذلك أنَّ تعدَيتَك له توهم ما هو خلافُ الغرض وذلك أنّ الغرضَ هو أنْ تُثْبِتَ أنه كان من الرماح إجرارٌ وحَبْسُ الألسن عن النُطْق وأنْ تصحّحَ وُجودَ ذلك. ولو قال " أَجَرَّتْني" جازَ أن يتُوهَّمَ أنه لم يُعنَ بأن يثبت

---

[2] ينظر :الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 2/ 109.

[3] ينظر :البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة 377.

[4] ينظر :دلائل الإعجاز 120.

[5] ينظر :المحكم والمحيط الأعظم (4/ 97)

[6] ينظر :الخصائص 1/ 320.

[7] ديوان عمرو بن معد يكرب :73.

[8] دلائل الإعجاز :129.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

للرماح إجراراً بل الذي عناَه أن يَبيّنَ أنها أجرَّته"[1]،"أي لو قاتلوا وأَبْلَوا لذكرتُ ذلك وفخرت به، ولكن رماحهم أَجَرَّتنِي، أي قطعت لساني عن الكلام؛ لأنهم لم يقاتلوا" [2]، كما يمنع الإجرار الفصيل من المصّ[3].

المسألة السادسة: عموم النفي

كما هو معلوم أنَّ كلَّ تفيد العموم، أمَّا إذا سبقها نفي فإنّها تدلُّ على نفي البعض وليس الكل كما يتصوّر البعض كما في قول **المتنبي**[4]:[البسيط]

ما كُلُّ ما يتَمنَّى المَرءُ يُدْرِكُهُ *تأتي الرِّياحُ بما لا تَشتَهي السُّفُنُ [5]

زيادة عن استئناف هذا الكلام بالعجز: تجري الرياح بما لا تشتهي السّفن، ولو جاءت ما بعد كلّ: لنفي العموم، نحو: كل ما يقوله الخصم غير صحيح أي: جميع أقواله غير صحيحة[6].

المسألة السابعة: تعدد الأوجه الإعرابية

لا يتصور أي إنسان أنْ يصيغ جملة دون أن يكون في مخيلته ذكر الفاعل والفعل أو المبتدأ والخبر، ومجيء الفضلة من مفعول به، وصفة... إلخ[7]كما في قول **امرىء القيس** [8]: [الطويل]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ففي هذا ترى الأول منقطعاً عن الثاني في المعنى، والثاني متصل بالأول بحرف الجر[9]، كذلك أنَّ قصدية الشاعر مهمة في البيت الشعري، ولا يجوز جواز أكثر من وجه إعرابي، فمثلاً نبكي جملة فعلية في محل نصب مفعول لأجله، لأجل البكاء، ولا يجوز أنْ يتأول بصفة أو تمييز.

---

(2) دلائل الإعجاز: 129.

(3) إصلاح المنطق : 186.

(4) ينظر :الأضداد لابن الأنباري 301.

(5) ديوانه :4/ 366.

(6) ينظر :دلائل الإعجاز 219.

(7) ينظر :اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل 165.

(8) ينظر :دلائل الإعجاز 303.

(9) ديوانه : 21.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 20).

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

المبحث الثاني: قضايا أسلوبية

إنَّ الأسلوبية في نظم الكلام، وعلاقة اللفظ بالمعنى مهمة جداً في تصوّر المعنى، فأسلوب المتكلّم والمخاطب مهم جداً في بيان الصفة الإبداعية في الكلام، ومن هذه:

المسألة الأولى: ترتيب الكلام

الغاية من ترتيب الكلام معرفة المتكلم فيما يذكره مراعياً قواعد النحو، فمن ذلك ما ذكر **الجرجاني** في غاية ضرب في الجملة: " وإذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنًى سوى أنه يقصِدُ إلى قولِكَ ضربَ فيجعلُه خبراً عن زيد ويجعلُ الضربَ الذي أخبر بوقوعهِ منه واقعاً عل عمروٍ ويجعلُ يومَ الجمعة زمانه الذي وقعَ فيه ويجعلُ التأديبَ غرضَه الذي فعل الضربَ من أجله فيقولُ: ضربَ زيد عمراً يوم الجمعة تأديباً له. وهذا كما ترى هو توخِّي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم. ولو أنك فرضتَ أن لا تتوخَّى في "ضَرَب": أن تجعله خبراً عن زيدٍ وفي عمروٍ أن تجعَله مفعولاً به لضرب وفي يومِ الجمعة أن تجعَله زماناً لهذا الضرب وفي التأديب أن تجعلَه غرضَ زيدٍ من فعل الضرب ما تُصوِّر في عقلٍ ولا وقع في وَهْمٍ أن تكونَ مرتَّباً لهذه الكلم. وإذ قد عرفتَ ذلك فهو العبرةُ في الكلام كلِّه، فمن ظنَّ ظناً يؤدِّي إلى خلافِه ظنَّ ما يخرج به عن المعقول"[1].

والغاية أنَّ كلَّ واحد مفتقر للأخر فالفعل مفتقر إلى فاعله؛ لأنه هو الذي أوجده وأحدثه، والفاعل مفتقر للمفعول به، والزمان، والمفعول لأجله، والمعمول له مفتقر لهم[2].

فلا يجوز التقديم والتأخير هنا؛ فتقول: ضرب تأديباً له يوم الجمعة زيدٌ عمراً؛ لعدم فهم المعنى المراد، كقولك: الطعام الذي أكل زيدٌ، ولا يجوز أيضاً أنْ تؤخره، فخطأ أنْ تقول: الذي أكل زيد الطعام[3]، فالبناء المنظم في ترتيب المعنى المراد هو الحد؛ لأنّك تريد أن تُعْمِلَه وتَحملَ عليه الاسمَ[4]، فهذا قصد الترتيب عند الشيخ الجرجاني.

---

(2) دلائل الإعجاز: 300.

(3) ينظر: رسائل في اللغة لابن سيد البطليوسي 166.

(4) ينظر: الإبانة في اللغة العربية 2/ 179.

(5) الكتاب لسيبويه :1/ 80.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

المسألة الثانية: الالفاظ خدم للمعاني

الألفاظ وضِعت لخدمة المعنى؛ فالبدوي يعرف أنَّ هذا الاسم وضع ليكون خبراً أو تمييزاً...إلخ ، قبل أنْ يوضع النحو؛ إذن السليقة العربية هي التي تصوّر وضع اللفظ للمعنى؛ إذ يقول **الجرجاني**:" وليتَ شعري هل كانتِ الألفاظُ إلاّ من أجل المعاني وهل هي إلاّ خدمٌ لها ومصرَّفةٌ على حكمها أوَ ليست هي سماتٍ لها وأوضاعاً قد وضِعَتْ لتدلَّ عليها فكيفَ يُتصوَّر أنْ تسبِقَ المعاني وأنْ تتقدَّمَها في تصوُّر النفس إنْ جازَ ذلك جاز أنْ تكون أسامي الأشياء قد وُضعتْ قبل أنْ عرفتْ الأشياء وقيلَ أنْ كانتْ"[1]؛ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إنَّ من الشعر لحكمًا وإنَّ من البيان لسحرًا**"[2]. فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكًا للقلوب وسببًا وسلمًا إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أنْ الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم -لا شك-أشرف من الخادم"[3]، إذن الألفاظ تابعة للمعاني[4]، وهي التي تقود إلى المعنى العام.

المسألة الثالثة: الاستعارة

تتخذ العرب من الحيوانات أمثالا لها، فمثلاً غراب للخبر الضار، والحمامة للخبر السار، فمنه قول **المتنبي**[5]: [البسيط]

ولا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ *شكوَى الجريحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَمِ

إذ يقول **الجرجاني**:" أنْ يكونَ هاهنا جريحٌ قد عرف من حاله أنْ يكون له شكوى إلى الغربان والرخم وذلك محال. وإنما العبارة الصحيحة في هذا أن يقال: لا تَشَكَّ إلى خلقٍ فإنك إنْ فعلتَ كان مثَلُ ذلكَ مثَلَ أنْ تصوّر في وَهْمِك أنّ بعيراً دَبِراً كَشَفَ عن جرحهِ ثم شَكاه إلى الغِربان والرَّخم"[6]. وهذه من سمات النفس الشريفة، فلا تشكو لمن يفرح بشكواك، وربما يستغلك، كحال الجريح عندما تجتمع عنده الغربان والرخم لتأكله، وليس لتنظر إليه[7].فهنا استعار الشاعر بتصوره أنَّ الذي يشكو لغير المحبين، كجريح بين الغربان والرخم.

---

(2) دلائل الإعجاز: 308.

(3) سنن أبي داود: 359/7.

(4) الخصائص :1/ 221.

(5) ينظر : علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع 360.

(6) شرح ديوان المتنبي للواحدي 358.

(7) دلائل الإعجاز: 399.

(1) ينظر: اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي 1340،و البديع في نقد الشعر 282.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

المسألة الرابعة: تنسيق الكلام

نسق الكلام مهم في بيان المعنى؛ لذا يقول **الجرجاني** "أنْ ليس الغرضُ بنظمِ الكلِم أن توالَتْ ألفاظُها في النُّطق بل أنْ تناسَقتْ دلالتُها وتلاقتْ مَعانيها على الوجهِ الذي اقتضاهُ العقلُ وكيف يُتَصورُ أن يُقصَدَ به إلى توالي الألفاظِ في النُّطق بعد أنْ ثبتَ أنّهُ نظمٌ يُعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضِه معَ بعضٍ وأنه نظيرُ الصِّياغةِ والتَّحْبِير والتَّفْويفِ والنَّقشِ وكلَّ ما يُقصد به التَّصويرُ وبعد أنْ كُنّا لا نشكُّ في أنْ لا حال للفظةٍ معَ صاحبتها تُعتبر إذا أنت عَزلْتَ دَلالَتهما جانباً. وأيُّ مساغٍ للشكِّ في أنَّ الألفاظَ لا تستحقُّ من حيثُ هي ألفاظٌ أنْ تُنظَمَ على وجهٍ دونَ وجهٍ. ولو فرضْنا أنْ تنخلعَ من هذهِ الألفاظ التي هيَ لغاتٌ دلالتُها لَمَا كان شيءٌ منها أحقَّ بالتَّقديم من شيءٍ. ولا يُتَصَوَّر أنْ يجبَ فيها ترتيبٌ ونظم. ولو حفَّظْتَ صبياً شطرَ **كتابِ "العين"** أو **"الجمهرة"** من غيرِ أن تفسَّر له شيئاً منه وأخذتَهُ بأن يَضبِطَ صُوَرَ الألفاظِ وهيئتِها ويؤدِّيها كما يؤدي أصنافَ أصواتِ الطيور لرأيتَه- ولا يخطرُ ببالٍ - أنّ مِن شأنِه أنْ يؤخِّرَ لَفْظاً ويقدِّمَ آخرَ. بل كان حالهُ حالَ مَن يَرْمي الحصَى ويعدُّ الجوزَ. اللّهمَّ إلاّ أنْ تسومَهُ أنتَ أن يأتيَ بها على حُروفِ المعجم ليحفظَ نسقَ الكتاب"[1].

وهذا يعتمد على الفكرة المنطقية التي تقول بأنَّ المعاني لا توجد منعزلة الواحد تلو الآخر في الذهن، بل لابد لإدراكها من ارتباط كلِّ معنى منها بمعان أخرى؛ فلفظ إنسان الذي نعده مطلقا لا يمكن أنْ نعقله إلا بالإضافة إلى كلمة حيوان مثلا،...وكذلك الكلمات التي تمثل التقديرات الجامعية (ممتاز، جيد جدا، جيد، مقبول، ضعيف، ضعيف جدا) لا يمكن فهم إحداها إلا في ظلال الكلمات التي قبلها أو بعدها[2]. فعلى هذا يجب أنْ يكون هناك اشتراك في المعنى، فاعتبار التأليف معتمد على اعتماد المعاني [3].

المسألة الخامسة: مراعاة اللفظ للمعنى

يعد المعنى في خاطر الإنسان مهم، ثم تأتي الألفاظ، فمن ذلك قول **الجرجاني**: " وكيف يُتَصوَّرُ أنْ يصعبَ مرامُ اللّفظ بسبب المعنى وأنتَ إنْ أردتَ الحقَّ لا تطلبُ اللفظَ بحالٍ وإنَّما تطلبُ المعنى وإذا ظفرتَ بالمَعنى فاللفظُ معكَ وإزاءَ ناظرِك...هل يتصورُ أن نُرتِّبَ معاني أسماءٍ وأفعالٍ وحروفٍ في النَّفس ثم تخفَى علينا مواقِعها في النُّطق حتى

---

[2] دلائل الإعجاز:56- 57.

[3] ينظر :الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية 19.

[4] ينظر :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي 3/ 270.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

يُحتاجَ في ذلك إلى فكرٍ ورويَّةٍ وذلك ما لا يشُكُّ فيه عاقلٌ إذا هو رَجعَ إلى نفسهِ "(1). ومن خلال هذا الكلام عليك أنْ تتصور أنَّ الألفاظ مقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأنْ يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء هو فكرٌ في نظم الألفاظ(2)، ويجب أنْ يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني ؛بسبب تقديم أو تأخير أو حذف(3).

المسألة السادسة: تصور المعنى

ربما يتصوّر اللفظ بصورة مغايرة للمعنى وإنما هذا معنى ثان وليس أولاً ، فمنه قول الشاعر(4) :[الوافر]

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي *جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ (5)

فهو لا يريد مدح الكلب بالجبن، وإنّما قصد نفسه حين قال(6): [من الكامل]

من دون سيبك لون ليل مظلم * وحفيف نافجة وكلب موسد (7)

والمقصود بالبيت:"أن كلبه يضرب إذا نبح على الأضياف، فيردف ذلك جبنه عن نبحهم؛ وأنَّ اللبن الذي يسمن به الفصيل يجعل للأضياف فيردف ذلك هزال الفصيل"(8).

خاتمة:

بعد عرض أهم آراء النّظرية التّصورية عند الشيخ **عبد القاهر الجرجاني** – رحمه الله تعالى – تم التوصل إلى أهم **النتائج** الآتية :

1-جاء التصوّر في اللغة مناسباً للاصطلاح، فهو تصوّر الأشياء في الذهن سواء أكانت محسوسة كالشجرة أو غير محسوسة كالعدل، أمَّا الأمور المختلف بها فهي عدم معرفة القصدية؛ بسبب البعد التأريخي للحدث فربما لا

(2) دلائل الإعجاز : 64.

(3) ينظر :رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة 176.

(4) ينظر :التعاريف 188.

(5) لم ينسب لأحد .ينظر : ديوان المعاني 1/ 33.

(6) ينظر :دلائل الإعجاز 204.

(7) ينظر :الحيوان 1/ 255.

(8) لم ينسب لأحد . ينظر :الحيوان 1/ 255:

(1)الصناعتين: الكتابة والشعر: 351.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

نعرف أصل ومناسبة الحدث في عصر من العصور، زيادة عن اختلافات الثقافات بين جيل وجيل، وبين باحث وباحث.

2- إنَّ نظم الكلام في السطور جاء موافقاً لما يدور في ذهن الإنسان، وسليقته التي تربى عليها، فمن غير الصحيح قول كلام لا يعرف معناه، ولم يراع فيه الترتيب في الذهن.

3-جاءت القواعد النحوية عند النّحاة موافقة لمحتوى كلام العرب، فمثلاً: لا رجلَ في الدار نفي جنس الرجال، أمَّا كلمة التوحيد (**لا إله إلّا الله**) فهي خاص بعبودية الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له. زيادة أنَّ مجيء كلّ بعد النفي تدلُّ على نفي البعض وليس كله، في حين إذا جاءت ما بعد كلّ فإنَّها تدلُّ على العموم.

4- كلُّ اسم دلَّ على معناه، وهذه حقيقة توقيفية اللغة عند الله سبحانه وتعالى، أمَّا المرادفات، وتغير النطق فهي اصطلاحية من البشر، فالمسميات الرئيسة للأشياء موجودة في ذهن الإنسان رغم اختلاف نطقه وعصره.

5-إنَّ قواعد اللغة فيما يخص القصر، وتعدية الفعل، وغيرها من القواعد التي تعطي حكما في المعنى في حال الرجوع إلى مناسبة النَّص، وقصدية المؤلف، وثقافته، والعلاقات الدلالية حول النَّص، وهذا يكون عن طريق التبحر في الكتب، ومعرفة الحقائق، ولذا يكمن الاختلاف بين باحث وباحث حسب ثقافة كلّ منهما.

قائمة المصادروالمراجع:

أ-الكتب:

1. ابن الأثير، ضياء الدين (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، د.ط، د.ت.
2. ابن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، د.ط، 1375هـ
3. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423 هـ , 2002 م.
4. ابن جني، أبو الفتح (ت 392هـ) الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت.
5. ابن سيده، أبو الحسن علي (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

6. ابن فارس، أحمد بن فارس (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

7. ابن منقذ، أسامة (ت584هـ) البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ،الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، د.ط ، د.ت .

8. أبي داود، سليمان بن الأشعث (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د.ط ، د.ت .

9. امرىء القيس، ديوانه، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2،1425 - 2004م.

10. الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم(ت328هـ) الأضداد ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان ، 1407 هـ - 1987 م.

11. البطليوسي، لابن سيد (ت 521هـ)، رسائل في اللغة، تح: وليد محمد السراقبي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 1428 هـ - 2007م.

12. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255هـ)، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط2 ، 1424 هـ

13. جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، 2010م.

14. الجرجاني، عبد القاهرة (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط1، 1995م.

15. الحريري، القاسم بن علي (ت 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، تح: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1998/1418هـ

16. الحمزاوي، علاء إسماعيل، الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة، جامعة المنيا، د.ط، د.ت. الخماش، سالم سليمان، المعجم وعلم الدلالة، موقع لسان العرب، د.ط، د.ت.

17. الدميري، محمد بن موسى (ت 808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ

18. السَّراج، محمد علي، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، ط1، 1403 هـ - 1983 م.

19. سيبويه، أبو بشر، الملقب (ت: 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3، 1408 هـ - 1988 م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

20.شمس الدين، أحمد بن سليمان(ت: 940هـ)، رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العددان71، 72 السنة 18رجب-ذو الحجة 1406هـ.

21.الصُحاري، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي، الإبانة في اللغة العربية الإبانة في اللغة العربية، تح: د. عبد الكريم خليفة - نصرت عبد الرحمن - صلاح جرار - محمد حسن عواد - جاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان،ط1، 1420 هـ - 1999 م.

22.العسكري، أبو هلال(ت نحو 395هـ) ، ديوان المعاني، دار الجيل – بيروت، د.ط ، د.ت .

23.العسكري، أبو هلال الحسن (ت: نحو 395هـ)، الصناعتين: الكتابة والشعر الصناعتين ،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، د.ط ، 1419 هـ

24.العمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ) ، معجم اللغة العربية المعاصرة معجم اللغة العربية المعاصرة عالم الكتب ، ط1، 1429 هـ - 2008 م .

25.الكفوي، أبو البقاء (ت 1094هـ)، الكليات ،تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت

26.المتنبي، أحمد بن الحسين، شرح ديوان المتنبي، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، 1980م.

27.المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» ، د.ط ، د.م ،د.ت .

28.المعري، أحمد بن عبد الله (ت 449 هـ) ، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي ، تح: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

29.الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين (ت 732 هـ) ، الكناش في فني النحو والصرف ، تح: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ،د.ط ، 2000 م.

30.المؤيد باللَّه، يحيى بن حمزة (ت: 745هـ) ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،المكتبة العنصرية - بيروت،ط1، 1423 هـ .

31.مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول النحو أصول النحو 1، جامعة المدينة العالمية، د.ط ، د.ت.

32.مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 2 - المعاني- جامعة المدينة : البلاغة 2 – المعاني، د.ط ن د.م ،د.ت .

33.المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق ، ط1، 1410هـ.

34.النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت 468هـ)، شرح ديوان المتنبي للواحدي، د.م ،د.ط ، د.ت .

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ISSN 2311-519X

35.يكرب، شعر عمرو بن معد، جمعه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجلة اللغة العربية، دمشق، ط2، 1985.

ب – المجلات:

1. بغورة، ياسين، النظريات الدلالية الحديثة – مطارحة نظرية، مجلة التنوير ع8، 2018.
2. بن صوف، مجدي، الأسس الأبستمولوجيا لنظرية الدلالة التصورية، مجلة الممارسات اللغوية، م11، ع4، 2020.
3. بن يحي فتيحة، مصطلح التصور أو المفهوم بين علماء اللغة والمناطقة، الحوليات، مخبر الصوتيات العربية الحديثة، 2008، الجزائر.
4. غيلوس، صالح، دور التصور الذهني في تشكيل المعنى في ضوء النظرية التصورية –جاكندوف-، المجلة العربية مداد
5. م5،ع2021،12 .
6. اللحياني، سرور، فهم البنية التصورية في المقاربة التوليدية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع2، 2020.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ملامح الدرس الفونولوجي لدى تمام حسان

Features of the lesson of phonology by Tamam Hassan

أ.د. بن يحي طاهر ناعوس (جامعة غليزان، الجزائر)

Prof. Dr. Ben Yahia Taher Naous (University of Relizane, Algeria)

Abstract:

If the West created a linguistic turning point that was carried by Saussure, then the modern Arabic linguistic turning point was carried by Tamam Hassan, as he is considered the first to stand on the mechanisms of ancient linguistic study and the priorities of modern Western linguistic study. He is also considered the first to gather the fragments of linguistic heritage and classify its criteria between good and bad. What we say in this regard is the same as what one of his students said: "Had it not been for the nature of time and that contemporaneity is a veil, Tamam Hassan would have been pledged allegiance to as the prince and innovator of Arabic grammar and modern linguistic studies in our Arab world." Our choice of this man over others was to patch up that missing link between the ancient Arabs and the modern West. Between this and that, there is a gap that was filled by linguists who were distinguished by their seasoned thinking between the Arabs and the West. What we noticed after reading Tamam Hassan's books is that the man took a critical stance towards heritage and a reverent stance towards Western imports. This is what we will stand on in what is to come, and our focus will be on the functional lesson that this man presented in describing Arabic. Who is this man? What approach did he adopt? What are the most important foundations that paved the way for his linguistic launch? What linguistic and functional thought did he use to benefit his Arabic? All these questions and others will be answered by the research according to the descriptive and analytical approach.

Keywords: Complete. Lesson. Heritage. Old West.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مستخلص:

إذا كان الغرب أحدثوا منعرجا لسانيا حمل لوائه **دي سوسير**، فإن المنعرج اللساني العربي الحديث حمل لوائه **تمام حسان**، إذ يعد أول من وقف على أوليات الدرس اللغوي القديم، وأولويات الدرس اللغوي الغربي الحديث، كما يعد أول من لملم شتات التراث اللغوي، وصنف معاييره بين الصالح والطالح، وما نقوله نحن في هذا الصدد نفس ما قاله أحد تلامذته: **"ولولا طبيعة الزمان وأن المعاصرة حجاب لبويع تمام حسان أميرا ومجددا للنحو العربي وللدراسات اللغوية الحديثة في عالمنا العربي"**[1] ، وكان اختيارنا لهذا الرجل دون غيره، لنرقع تلك الحلقة المفقودة بين العرب القدامى، والغرب المحدثين، فبين هذا وذاك فراغ ملأه علماء اللغة الذين تميزوا بتفكيرهم المخضرم بين العرب والغرب، فما لاحظناه بعد قراءتنا لكتب تمام حسان استخلصنا أن الرجل وقف وقفة انتقاد للتراث ووقفة إجلال للوارد الغربي، وهذا ما سنقف عنده فيما هو آت، وتركيزنا سيكون على الدرس الوظيفي الذي قدمه في وصف العربية، **فمن يكون؟ وبأي منهج جاء؟ وما هي أهم الأسس التي مهدت لانطلاقته اللغوية؟ أي فكر لغوي ووظيفي أفاد به عربيته؟** كل هذه الأسئلة وغيرها سيجيب عنها البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: تمام، الدرس، التراث، الغرب، القدامى.

1– تمام سيرة ومسيرة:

ولد تمام حسان عمر محمد داود « **في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة 1918 بقرية الكرنك بمحافظة قنا أقصى صعيد مصر، تربى على القرآن الكريم، والتعليم الأزهري منذ صباه** »[2]، تابع تعليمه حتى تحصل على درجة الماجستير تحت عنوان:« **دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر، عام1952 كما تحصل على درجة الدكتوراه في الفرع نفسه** »[3]، أمد المكتبة العربية بعدة كتب نذكر منها: **اجتهادات لغوية، الأصول، دراسات ابستمولوجية للفكر اللغوي العربي، الخلاصة النحوية، اللغة بين المعيارية والوصفية**، هذه المحطات التي وقفنا عندها لم تكن سوى غرفة ماء من نهره الواسع، وسبيلنا هنا غرضه الاهتداء إلى تلك الأغوار التي قادها تمام حسان في درسه اللغوي الحديث.

---

[1] -صبري الصعيدي، معالجة التراث في المصنفات الغربية اللغوية الحديثة www.islamonline.netيوم 2025/1/10، الساعة 10:30.

[2] - صبري الصعيدي، معالجة التراث في المصنفات الغربية اللغوية الحديثة www.islamonline.netيوم 2025/1/10، الساعة 10:30.

[3] - عبد الرحمان حسن عارف، تمام حسان سيرة ذاتية ومسيرة علمية، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2002، ص14.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

2- مناهج البحث اللغوي لدى تمام حسان:

المنهج الوصفي:

اتكئ تمام حسان على المنهج الوصفي إثر توضيحه للعملية النطقية عند الإنسان، وتحديد أهم الأعضاء المسؤولة عن هذه العملية، يقول: **حين يتكلم المتكلم نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكه الأسفل وشفتيه ولسانه، ونلاحظ كذلك أن أثرا سمعيا يصل إلى آذاننا فنفهم أنه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم»**[1]، فهو بذلك يصف لنا العملية النطقية انطلاقا من الجهاز النطقي وصولا إلى الجهاز السمعي.

المنهج التحليلي:

يصف تمام حسان تارة ويقف عند حدود وصفه ليحلل الظاهرة، وتحليل الظاهرة عند علماء اللغة يعد منهجا تحليليا، وهذا ما نجده في عدة أقوال وردت في كتابه نذكر الأهم منها فالمهم إذ يقول: **والشائع المقبول أن الكلمة العربية ذات حروف أصلية ثلاثة، يسمى أولها فاء الكلمة، وثانيها عينها، وثالثها لامها، وفي الأمثلة المتقدمة نجد أن هذه الحروف الثلاثة واضحة في عبد، وعذر، وقهر، ولكننا لا نجد في قال، وباع، وراح، إلا حرفين صحيحين، يمكن أن نردهما إلى هذه القاعدة، هما فاء الكلمة ولامها، فأين عين الكلمة؟ وما صحة الدعوى على وجودها فيها؟ إن عين الكلمة إذا لم تظهر في المثال فستظهر في الجدول فإذا أحدنا "قال" مثلا: ووضعناها في جدول توزيعي، وجدنا أن العين تظهر في بعض صيغه »**[2]، من خلال قوله هذا نلاحظه يطرح إشكالا ويشكك في صحة هذه القاعدة الصرفية، فيحلل ويعلل ليصل إلى حقيقتها.

ويظهر المنهج التحليلي أكثر في قوله:« **وإذا لم يصدق القارئ هذا الكلام، فليسمح لي بأن أجرؤ على بناء هذا النص الآتي على مثال اللغة العربية »**[3]، ثم يكمل حديثة في السياق نفسه إلى أن يخرج بنتيجة مفادها« **أن الإعراب فرع المعنى الوظيفي، لا المعنى المعجمي، ولا المعنى الدلالي ومن هنا كان قول النحاة صوابا وكان تطبيقهم خاطئا»** [4].

---

[1] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص23.

[2] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص143.

[3] - المرجع نفسه، ص193.

[4] - المرجع نفسه، ص194.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

المنهج المقارن:

تم إيراده في مقابلة المقولات العشر بعلم قواعد النحو، وفي مقارنة علم الأصوات بعلم التجويد، إذ يقول في خاتمة كتابه: **وتم لنا في هذا المنهج أن نعالج مسائل الأصوات، لنقارن بينها وبين علم التجويد »** [1]، فلفظة نقارن الواردة في هذا القول كفيلة بأن نحكم على منهج تمام حسان بالمنهج المقارن.

المنهج الاستقرائي: وهذا ما يظهر من خلال قوله:" وسبيل الملاحظة الاستقراء ويتطلب الاستقراء عددا هائلا من المفردات التي يتناولها، وقد تكون هذه المفردات أصواتا عند دراسة الأصوات أو حروفا أو مقاطعا، أو ظواهرا موقعية عند دراسة التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)،...وقد وضع كل منها تحت ظروف مختلفة، فإذا أردنا استقراء سلوك صوت العين مثلا اخترنا من حالات النطق ما يكون هذا الصوت مجاورا فيها لكل صوت آخر من أصوات اللغة".[2]

3– الأسس والمنطلقات الفكرية لتمام حسان:

أ- **المنطلق الفلسفي**: يفصح كتاب **"مناهج البحث في اللغة"**، عن تلك الثقافة الفلسفية التي تزود بها تمام حسان، ومن بين تلك الخبرات القبلية نذكر منها على سبيل الذكر الفلسفة الاجتماعية التي تبناها كانط، والفلسفة النفسية التي تباناها فرويد:

فتأثره بالفلسفة عامة تتضح في قوله:« **اللغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق وكل تقدم اجتماعي كتب له الكمال إنما لوجود اللغة »** [3] يربط هنا علاقة بين اللغة والفكر، ومما لا شك فيه أن هذه القضية شغلت حيزا كبيرا عند الفلاسفة القدامى، فكان تمام حسان من اتباع أنصار الفكر القائل بأن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة فلا ينفك هو عن اللغة ولا تنفك هي عنه.

أ- **الفلسفة الاجتماعية**: بحيث يعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تضمن التواصل الاجتماعي« **ثم ابحث في خيالك وسوف لا تجد وسيلة للاتصال أنجع في هذا الباب من اللغة »** [4] فربط العلاقة بين اللغة وعلم الاجتماع،

---

[1] - المرجع نفسه، ص270.

[2] - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص158-159.

[3] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص1.

[4] - المرجع نفسه، ص1.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وهذا ما تبانه **جاكبسون** في دراسته للغة، وعلى هذا فيمكن أن نقول أن تمام حسان متأثر بفلسفة دوركايم، وأفكار جاكبسون.

ب-**الفلسفة التاريخية:** اللغة في نظر تمام حسان ليست فقط وسيلة تواصل، فيمكنها أن تكون مرآة عاكسة لتاريخ أمة ما « **ذلك بأن اللغة وعاء التجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الآخر** »[1].

ت-**الفلسفة النفسية:** زيادة على ما سبق وهو اعتبار اللغة كوسيلة تواصل ومرآة عاكسة لمجتمعها، فهي ترتهن لعامل النفس البشرية« **واللغة سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكاروالأشياء** »[2]، ارتهانا لهذا القول يمكننا أن نقر بأن تمام حسان متأثر بالفلسفة النفسية التي سنها فرويد.

ث-**المنطلق السوسيري:** معنى ذلك أنه متأثر بالفكر السوسيري الحديث النشأة والتطور وقوله هذا أوضح دليل:« **والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقي ضوءا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله، منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة** »[3]، تأثره بالمنهج الوصفي الذي قال به ديسوسير يعد منطلقا من منطلقات فكره.

ج- **المنطلق الوظيفي:** ودراسته لكل مستويات اللغة انبنت على أساس وظيفي، وقوله هذا دليل قاطع على ذلك:« **أن الإعراب فرع المعنى الوظيفي، لا المعنى المعجمي** »[4]، ولا شك أن المنهج الوظيفي تبناه أنصار مدرسة براغ، ولا شك أنه يتبنى فكر بلومفيد وسايبر وتروبسكوي واندري مارتنيه، وهذا ما سنتطرق له من خلال حديثنا عن التصورات التي قدمها نلفيها تتقاطع لحد بعيد مع ماجاء به اندري مراتينيه، فمصطلح الموقعية الذي تبناه تمام حسان قد تبناه اندري قبله بتعبير آخر وهو رتبة الوحدات اللسانية.

ملاحظة: رفض تمام حسان المنهج التداولي كعلم قائم بذاته، إذ يرد نصا له في كتابه يوحي بما قلناه:« **وواضح أن الصدق والكذب ليس من الدراسات اللغوية وإنما هو من الدراسات المنطقية** »[5]، فاعتبر كل ما تهتم به التداولية من قبيل علوم الفلسفة لا من علوم اللغة.

---

[1] - المرجع نفسه، ص2.

[2] - تمام حسان، مناهج البحث اللغة، ص3.

[3] - المرجع نفسه، ص20.

[4] - المرجع نفسه، ص194.

[6]- المرجع نفسه، ص15.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

-كما تأثر بالفكر اللساني الانجليزي واختلط زمرة تفكيره بزمرة التفكير الإنجليزي:« **بل إنه تتلمذ على يد أشهر رموزروادها وفي مقدمتهم اللغوي الانجليزي فيرث**[1] » فكان منطلق فكره بذلك التأثر.

- التفكير الوظيفي للغة لدى تمام حسان:

يقر تمام حسان بحقيقة تلك الوظيفة التي تقوم بها اللغة داخل سياقها العام، وهي وظيفة شملت كل فروعها وأجزائها بدء من أصغر وحدة صوتية إلى أكبر وحدة دلالية، إذ نظر إلى اللغة« **باعتبارها مجموعة من النظم الوضعية الاجتماعية ذات أقسام من الأنماط والعلامات وجدنا أن من الممكن أن نستقل بمنهجها عن مناهج العلوم، ويأخذ منهجها في اعتباره الشكل والوظيفة باعتبارهما أساسين من أسس بنائه يطبقان في كل فروع الدراسات اللغوية** » [2]، مقصد ذلك أنه ينظر إلى اللغة من منظور حداثي ويطالب باستقلالية منهجها بشرط أن يقوم هذا المنهج على قواعد تأخذ في اعتبارها الشكل والوظيفة، ليس الشكل العام فقط بل أكثر تجريدا وصولا إلى أصغر وحدة صوتية ومن ثم دراسة وظيفتها الفاعلة في النسق الصوتي للكلمات ومن ثم دراسة فاعليتها في السياق العام.

مفهوم الفونيم عند تمام حسان:« **ومن المعلوم أن الدراسات اللغوية لأغراض عملية أبجدية ونحوية ودلالية تقبل أن تربط عددا من هذه الأصوات اللغوية برباط واحد، تطلق عليه اصطلاحا شاملا كالنون مثلا، فالنون اصطلاح شامل يدخل تحته عدد من الأصوات، كالذي في بداية نحن، والذي قبل الثاء في إن ثاب وقبل الظاء في إن ظهر، وقبل الشين في إن شاء، وقبل القاف في إن قال، مع اختلاف واضح بين هذه الأصوات في المخرج، لاحظ أن صوت النون في إن ثاب، وإن ظهر مما يخرج فيه اللسان كالثاء والظاء تماما لقد اصطلحنا على أن نسمي هذا العدد من الأصوات حرف النون، فنجعل الحرف، أعم من الصوت كما سبق، وهذا أيضا هو المقصود عند بعض الباحثين بالاصطلاح " فونيم"، إذا فالفونيم في إحدى معانيه يقصد به معنى الحرف** » [3]، معنى ذلك أن الفونيم حزمة من الصفات، متعدد الصور الصوتية، بحيث يختلف نطقه، كما يختلف موقعه من النسق العام، فيحتكم في نطقه إلى عوامل داخلية تندرج تحت قواعد المجاورة، والمماثلة والمخالفة، فيرقق تارة ويفخم تارة أخرى، وبذلك اعتبر مصطلح الحرف أو الفونيم أوسع من الصوت، فيعد بذلك ثبات

---

[1] - عباس علي اسوسوة، وقائع مؤتمر العربية من الدرس اللغوي، اليمن، جامعة تعز، http2003://.majma.org/index24/majma/joأفريل2025الساعة: 9:00، ص5

[2] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص29

[3] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص135-136.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الحرف وزئبقية الصوت، نعتقد من ذلك أن تمام حسان قد أضاف ثنائية حديثة لتلك الثنائيات التي قسمها ديسوسير باعتبار الثابت منها والمتغير، فجعل تمام الحرف على محور الثوابت اللغوية، والصوت في محور المتغيرات، فأفرد هذه الثنائية سابقة لثنائية الدال والمدلول.

أما إذا اتجهنا نحو التجريد أكثر فحتما سنتطرق للمقطع الصوتي، إذ يقول فيه تمام حسان:« **من الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع: أولهما هو المقطع التشكيلي، والآخر هو المقطع الأصواتي، أما أول هذين، فهو تجريدي مكون من حروف، وأما الثاني فهو أصواتي محسوس مسموع مكون من أصوات، وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية لاعتراف بالحقيقة القائلة إن ما هو تقعيدي لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة** »[1]، إذ يعترف من خلال قوله هذا بالسمات الفوق مقطعية، التي لا تتحقق بفعل الكتابة الإملائية، بل تتحقق عبر السلسلة النطقية.

هذا المقطع الذي رمز له اللغويون المحدثون بـ(ص،ع)، ورمز له القدامى أمثال الخليل بالحركة والسكون فتمام حسان يرمز للمقاطع الست التي عرفتها العربية، بـ(ر^{1}، ر^{2}، ر^{3}، ر^{4}، ر^{5}، ر^{6})، إذ يقول:« **صح لنا أن نقول إن في اللغة العربية ست وحدات تركيبية هي (ر^{1}، ر^{2}، ر^{3}، ر^{4}، ر^{5}، ر^{6}) ونكون في هذه الحالة قد تجاهلنا النص على تحديد الفروق بين كل وحدة وأخرى** »[2]، استحدث تمام حسان ترميزا جديدا للمقاطع الست، مستغفلا في ذلك انقسام الحرف إلى جزئين صامتا وصائتا، أو كما قيل به القدامى الحركة والحرف، فبهذا الترميز لم نفهم هذه الراء المبهمة ما إذا كانت صائتا أم صامتا، وسوف نجري عملية إسقاط ماجاء به تمام مع ما قيل قبله ونرى إذ كان قد وفق في ترميزه أم زاده تعقيدا.

إذا اعتبرنا ر^{1}=ص ع، واعتبرنا ر^{2}=ص ع ع، واعتبرنا ر^{3}=ص ع ص، واعتبرنا ر^{4}=ص ع ص ص إلى آخر المقاطع الصوتية، إذا قلنا بهذا الاسقاط فما الذي يجيز لنا اعتبار ر^{2} و ر^{3} مختلفان عن بعضهما رغم أن لهما نفس التركيبة وهما من المقاطع المتوسطة؟، وبذلك حق لنا أن نعتبر التقسيم الأول للمقاطع أسهل بكثير من التقسيم الذي اقترحه تمام حسان، رغم أنه تبنى هذا التقسيم وذلك ما صرح به، بدليل قوله:« **ونحن نختار لدراسة المقاطع العربية وجهة النظر الأولى** »[3]، فهو في آخر المطاف يقر بأحقية التقسيم الأول للمقاطع على تقسيمه.

---

[1]- المرجع نفسه، ص141.

[2] - المرجع نفسه، ص140.

[3] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص140.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

1. بعد حدبثنا عن الفونيم والمقطع ننتقل وإياكم إلى فكر جديد عرف عند تمام حسان وهو ما اصطلح على تسميته بـ "**الموقعية**"، ويقصد بها :« **دراسة لعلامات المو اقع، أو دراسة لسلوك الأصوات في الموقع طبقا لما يقتضيه هو سواء أكان هذا الموقع بداية الكلمة أو وسطها، أو نهايتها وإذا فدراسة الأصوات المفردة المنعزلة انعزالا مصطنعا عن السياق ليست دراسة موقعية، لأن الصوت المفرد المنعزل ليس به مو اقع نسبية أو تكون لها علامات » 1**، تلك الزئبقية الصوتية للحرف يحكمها السياق العام والنسق الصوتي الواحد في رأي تمام حسان، فلا يدرس الفونيم ولا المقطع في نظره إلا ضمن موقعيته من السياق والنسق، فتحكمه بذلك قواعد المجاورة، والمماثلة، فإن الصوت ضعيف بمفرده، قوي في نسقه حسب رأي تمام، فلا تحدد وظيفته إلا ضمن تحديد موقعيتها من الكلام، وشأن ذلك شأن باقي المستويات اللغوية، هذا الفكر استلهمه تمام حسان من فكر اندري مارتينيه الذي اصطلح على تسميته برتبة الوحدات اللغوية على اختلاف مستوياتها إذ يقول :" يجب معرفة موقع المونيمات وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية"[2] فالرتبة هي نفسها الموقع.

-**قضية التفخيم والترقيق**: يضفي تمام حسان مفهوما جديدا عن ما قال به القدامى، إذ اعتبروا أن (ص ض ط ظ غ خ ق) حروف مفخمة، ولتمام حسان رأي مغالط له إذ يرى أن هذه الحروف :« **نجد أن مما يعد في خصائصها إما صفة الإطباق، وإما مخرج الطبق، وصفة الاطباق ومخرج الطبق يشملهما في التجويد العربي اصطلاح(الاستعلاء)، والذي يبدو لي أن التفحيم في هذه الحروف غير متحد القيمة، ولامرات الورود في المثال »** [3] فبذلك يلفت انتباهنا لقضية بالغة الأهمية وربما تمس بنظرية الكليات اللسانية مساسا جزئيا يشكك في بعض النتائج المتوصل إليها حين فصل في قضية التفخيم والترقيق بين الفصحى والعامية، وبيد أن العاميات العربية كثيرة ومتنوعة فقضية التفخيم والترقيق ستختلف من لهجة إلى أخرى وتبقى فكرة التفخيم والترقيق كلية لسانية تختلف في تطبيقاتها، أي لها أعراف تطبيقية تمس اللهجة الواحدة دون غيرها.

-**مفهوم النبر في نظر تمام حسان**: يعرف النبر على أنه« **موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية، وجده أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام**

---

[1] - المرجع نفسه، ص148.

[2] -م ن ص106.

[3] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص153.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم »[1]، يقصد بتحديده لمفهوم النبر أنه ضغط على أحد الأصوات المكونة لنسق الكلمات نتيجة هذا الضغط وضوح لهذا الصوت دون غيره من الأصوات، وهذا الوضوح يستلزم زيادة في الكمية، بمعنى آخر فإن كل صوت يحمل أكبر كمية نطقية مقارنة بغيره في النسق الصوتي العام فهو منبور، يتطرق تمام حسان لقضية النبر وأنواعه ففي رأيه للنبر **قسمان** رئيسيان هما:

1- **النبر الصرفي:** ويعني به النبر الذي يقع على الميزان الصرفي لا على المثال، وهذا يقع على مستوى الكلمة.

2- **النبر الدلالي:** يختلف عن النبر الصرفي إلا أنه يمكن أن يلتقيان في موقع النبر الواحد، وهذا يقع على مستوى الجملة.

يعتبر تمام حسان أن هذا النبر كظاهرة فونولوجية لم تدرس في الدراسات اللغوية القديمة، يوافقه في الرأي إبراهيم أنيس إذ يقول :«**ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدامى**» [2]، في ذلك لنا رأي يخالف ما قال به تمام إذ أنه يعتبر نوعا من الإجحاف في حق من سبقوه زمنا، دليلنا على ما نقول قول جون كانتينيو: «**النبر هو إشباع مقطع من مقاطع بأن تقوي إما ارتفاعه الموسيقي أو شدته أو مداه، أو عدة عناصر في الوقت نفسه وذلك بالنسبة إلى العناصر نفسها في المقاطع المجاورة**»[3]، بمعنى أنّ حتى الغرب لم يغيروا في التسمية بل حافظوا عليها مصطلحا ومفهوما، كما عرفه سبيويه بالضبط حين قال:« **الذين يشبعون فيمططون ،وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة وذلك قولك يضربها، ومن مأمنك، وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قولك: يضربها ومن مامنك، يسرعون اللفظ ومن ثم قال أبو عمرو إلى بارئكم ويدلك على أنَّها متحركة قولهم ،من مأمنك فيبينون بالنون ،فلو كانت ساكنة لم تحقق النون »** [4] من القول يتضح لنا أنَّ النبر عند سيبويه هو الإشباع بالمد سواءا كان المد واويا أو يائيا، وليس شرطا أن يسمي هذه الظاهرة بالمصطلح المتفق عليه حديثا ،يكفيه فخرا أنَّه تنبه لمثل هذه الظاهرة في زمن لم يمتلك من الوسائل التي تساعده على استظهار مثل هذه الظواهر فقط حسه المرهف، وملكته السمعية الدقيقة، فإذا ما عالجنا الظاهرة من منظور نسقي فلا نستطيع التدخل في سبب

---

[1] - المرجع نفسه، ص160.

[2] -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، 1989، ط5، ص171.

[3] - جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تعريب: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966، ص:194.

[4] - سيبويه، الكتاب، ج4، ص202.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

تسميته بالإشباع وليس بالنبر، لأنَّ التسمية بحد ذاتها تعتبر تجديدا وتحديثا. فهل لنا الآن أن ننكر النبر كما أنكره أسلافنا تمام حسان وإبراهيم أنيس؟

بعد الذي قلناه حق لنا أن نقر بأنها مغالطة علمية «**وهذه المغالطة واضحة، وعدم التقصي والوقوف على نصوص علمائنا العرب. صحيح أنّهم لم يفردوا النبر بمصطلح واحد، ولكنهم أشاروا إليه و أكدوه في مصطلحات مناظرة له، فكأنّه لم يقف على ما نبّه إليه سيبويه و ابن جني، لو لم يلتفت إلى التضعيف أو مدّ الصوائت القصيرة، وهو ما اصطلح عليه ابن جني بـ (المطل)** »[1] هذا ما يؤكد حقيقة المغالطة التي قال بها تمام.

ومن بين المستجدات التي أقر بها تمام قضية المصطلح إذ يقابل مصطلح السوابق الذي عرف عند علماء اللغة المحدثين وخاصة أصحاب مدرسة براغ، بمصطلح **الصدر**، وقابل مصطلح الدواخل بمصطلح **الحشو**، ومصطلح اللواحق بمصطلح **الأعجاز**، وقوله هذا يؤكد ما سبق توضيحه:« **نحب أن نسمي ما اتصل بالأول صدرا إلحاقيا، وما دخل في الوسط حشوا، وما جاء في الآخر عجزا** »[2]، وإننا نعتبر هذه المصطلحات متطابقة تمام الاطباق بما جاء به الغرب وحبه هذا الذي زعمه أنه يحب هذه التسميات إنما نرى أنه من قبيل تأثره بقواعد الشعر إذ اعتبر الشطر الأول بالصدر والثاني عجزه.

الاشتقاق: يقول تمام حسان أن« **الكلمة العربية ذات ثلاثة أصول** »[3]، وما استزيد عنه فهو من أصل المزيد وما تلحقه من ملحقات صرفية كما عبر عنها تمام حسان وفيما هو آت سنتطرق إلى الأبنية العربية بالتفصيل وكيف تم لها الوجود في دائرة الدرس الصرفي العربي.

-الرباعي: يعبر تمام حسان عن الرباعي بقوله:« **فإذا أخذت أفعالا ثلاثية مثل جرّ، هدّ، كفّ، زلّ، وجدت أن الرباعي تتكرر فيه الفاء بين عنصري الحرف المشدد بعد فكه، فرباعيات هذه الأفعال جرجر، وهدهد، وعسعس، وكفكف، وثرثر، وزلزل، والفاء المكررة في كل هذا زيادة صرفية إلحاقية، لا حرف أصلي** »[4] لاحظ معنا ما كتب فوق السطر، فهو بيت القصيد للرباعي إذ يعتبره ثلاثيا وما أضيف له فهو من الملحقات الصرفية

28- عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية، ص244.

[2] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص131.

[3] - المرجع نفسه، ص184.

[4] - تمام حسان، البحث في مناهج اللغة، ص185.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وليست حروف أصل، فينحى بذلك منحى معاكس لما جاء به الخليل الفراهيدي حين أحصى الأبنية الصرفية للمنطوق العربي عددا، واعتبر اللغة العربية مبينة على الثنائي، الثلاثي، الرباعي، والخماسي.

-**الملحقات**: إلى جانب مصطلح الموقعية التي تنبه لها تمام فقد عرف بمصطلح الملحقات فما معنى الملحقات في رأيه: « **سيرجع بنا الكلام عن الملحقات الصرفية إلى فكرة المعنى الوظيفي مرة أخرى، فهذه الملحقات، سواء كانت من حروف الزيادة، أو من الأدوات، أو مما يسمونه الضمائر المتصلة، تتخذ معنى وظيفي لا معجميا، ومعناه الوظيفي في الكلمة التي تلحق هي بها هو المورفيم الذي تعبر عنه باعتبارها علامة**»[1] يعطي مثالا رائع في ذلك يختار لفظة "**يحترمونهم**" لنقسم هذه الكلمة عبر جدول للتوضيح أكثر لا مثل ما جاء به تمام حسان في كتابه ونرى في هذا الجدول تسهيل عملية فهم هذا المثال:

اللفظة	أصل حروف اللفظة	مورفيم المضارعة	مورفيم الافتعال	مورفيم الفاعلية أو العمدية	مورفيم الرفع	مورفيم المفعولية أو الفضلية
يحترمونهم	ح ر م	الياء (صدر prefix	التاء التي في حشو infix	الواو أعجاز sufixes	النون أعجاز	الضمير المتصل " هم" أعجاز

إذن تتكون هذه اللفظة من صدر وحشو وثلاثة أعجاز.

ومن مخرجات تمام حسان أيضا اعتبار المنهج الأنسب للدراسة الصرفية هو الدراسة الرأسية وهو ما يقابل أفقية السياق كتصريف الفعل مع كل الضمائر

[1]- المرجع نفسه، ص186-187.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

أنا	ضربت	زيد	
نحن	ضربنا	زيد	
أنتَ	ضربتَ	زيد	اعتذر
أنتِ	ضربتِ	زيد	اعتذري
أنتما	ضربتما	زيد	اعتذرا

هذا الجدول لا يعني فقط التصريف الرأسي للألفاظ بل يعنى كذلك بالظواهر التطريزية حسب رأيه، يقول من خلال كتابه:« **خذ مثلا صيغة صرفية معينة مثل ضارب، وقاتل موقوفا عليهما بالسكون، وإذا نظرنا إلى الصيغتين في انعزالهما عن السياق كما هما الآن، لم نستطع أن نحددهما تحديدا صرفيا دقيقا، فهما تصلحان أسماء فاعل، كما تصلحان فعلي أمر، و إنما تتحدد كل صيغة أي منهما تحديدا صرفيا بأحد شيئين ورودها في السياق حيث تبدو محددة بعلاقاتها التشابكية ووضعها في توزيع صرفي** »[1]، يفند هذا القول ما سبق توضيحه، فالحروف والكلمات والجمل لا تحدد وظيفتها إلا عبر تحديد موقعيتها من السياق.

-**منهج النحو:** في فصل النحو يدرس النحو دراسة وظيفية، إذ يرى أن للأفعال الماضية مثلا معنى وظيفيا قائما، ويرجع تلك العلاقات الرابطة بين الكلمة والكلمة داخل الجملة الواحدة ليست من قبيل النحو كما يراها النحاة القدامى، وهو حين يكون نافيا لهذا يكون معوضا لهذا الرأي تارة أخرى إذ يرى« **وهو كما ذكرنا أن النحو دراسة العلاقات بين الأبواب، لا بين الكلمات** »[2] فلو جئنا بجملة فعلية مثلا فسنرى في علاقة باب الفعل بباب الفاعل وعلاقتهما بباب المفعول لا في علاقة الكلمة الأولى بالثانية والثالثة، ونرى في ذلك التفاتة طيبة المنبت من تمام حسان.

---

[1] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص191.

[2] - المرجع نفسه، ص191.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ومن روائع مخرجات تمام حسان والتي أبهرتني طريقته في قلب القاعدة النحوية التي لازمت الدرس النحوي ردحا من الزمن، فقديما رأى النحاة أن الإعراب فرع المعنى ويرى بطلان هذه القاعدة حين يصرح بقوله :« **فكانوا بذلك في منتهى الصواب في القاعدة، وفي منتهى الخطأ في التطبيق، لأنهم طبقوا كلمة المعنى تطبيقا معيبا حيث صرفوها إلى المعنى المعجمي حينا والدلالي حينا، ولم يصرفوها إلى المعنى الوظيفي** »[1] يعطي في ذلك مثالا فيسوق نصا يماثل اللغة العربية فيجعل اللفظة أولى على صيغة الفعل الماضي والثانية على صيغة الفاعل والثالثة على وزن المفعولية وهكذا، لكن هذه الكلمات لا تحمل من الدلالة شيئا وليست تندرج تحت المعجم العربي ولا تمد بأية صلة له، لكن في الوقت نفسه تقوم هذه الكلمات بوظيفة أولها فعلية وثانيها فاعلية وثالثها مفعولية، فيصبح الإعراب بذلك«**فرع المعنى الوظيفي، لا المعنى المعجمى، ولا المعنى الدلالي، ومن هنا كان قول النحاة صوابا، وكان تطبيقهم خاطئا** »[2]،فالإعراب في نظره لا يرتبط بالمعجم ولا بدلالة الألفاظ بل بوظيفة الكلمات التي تحددها موقعيتها من السياق.

خلاصة قولنا هذا فإن النحو يحتاج إلى منهج علم الأصوات وعلم التشكل الصوتي وعلم الصرف وعلم الموقعية، فالكل مرتبط بالجزء، والأجزاء إذا ما لم يتم لها الترابط والانسياق والانزلاق لبعضها فستفقد العربية حلقة وصل تشتت كيانها الدلالي وتبعثر قوتها الأسلوبية، وتفقد حصانتها اللغوية السامية.

وهذا الكل الذي نتحدث عنه يصطلح على تسميته حديثا علم الجراماطيقا Grammar وهي في نظر تمام حسان:"**الجراماطيقا اسم يشمل كل هذه المناهج**"[3]ويقصد بكل المنهاج مناهج الأصوات بفرعيه، ومنهج علم الصرف ومنهج علم النحو مجتمعة كلحمة واحدة.

أما دراسة المناهج الصوتية والصرفية والنحوية متفرقة فيما بينها فاصطلح على تسميتها بالترتيب الآتي:

- دراسة النحو كجمل تامة =العلاقات السنتاجماتية relations syntagmatic.
- دراسة الكلمات صرفيا=العلاقات البرديجمانية relations paradigmatic.

---

[1] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص193.
[2] - المرجع نفسه، ص194.
[3] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 195.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

يتبنى تمام حسان فكر ديسوسير الفاصل بين علم اللغة والعلوم الأخرى ومناداته باستقلالية المنهج والدراسة، متبنيا في ذلك المنهج الاستقرائي، هذا ما استنتجناه من قوله: " **لأننا نباعد بين الفلسفة وبين الدراسات اللغوية، إذ نريد أن نجعل الدراسات اللغوية كلها برجماتية تنبني على الاستقراء بالحس، لا بر انسندنتالية تنبني على الحدس والتخمين."**[1]

- يقسم تمام حسان الكلمة العربية بالوقوف على **ثلاثة أسس**:

الشكل الإملائي المكتوب: كان نقول طائفة الواو والنون مثل مسلمون وليس منها مجنون، لأن الأولى جمع وثانية مفرد.

التوزيع الصرفي:" الفروق هنا يمكن أن تتضح في موضعين، أولهما حركة المضاف في مقابل حركة الفعل الماضي، وثانيهما حركة المضاف إليه في مقابل حركة المفعول والفاعل".[2]

الأسس السياقية: " **ترتبط الناحية الشكلية للكلمات في السياق بعلاقاتها بما قبلها وما بعدها**"[3] يوضح هنا لنا في مثال فما الفرق بين هم يحضرون يحضرهم فالشكل الإملائي هنا لا يجدي نفعا، والسياق هو من يحدد طبيعة الكلمات.

المعنى الأهم أو معنى الوظيفة: فكل كلمة " **بمجرد النظر إليها، وذلك لأنها تتخذ معنى أعم يتضح في وظيفتها التي تؤديها في اللغة، وموقعها من النظام النحوي العام".**[4]

الوظيفة الاجتماعية:" يلاحظ أن لبعض الكلمات دلالات اجتماعية خاصة لأنها في تحديد العلاقات التي ينبني عليها المجتمع، والكلمات الآتية مثلا من هذا النوع: أب، أم، مولود، رئيس، مرؤوس".[5]

خلاصة القول نصل إلى تقسيم تمام حسان للكلمة العربية إذ يعتبر هذه الأسس توصلنا إلى أربعة أقسام من الكلم وهي :1-الاسم 2-الفعل 3-الضمير 4-الأداة.

---

[1] - المرجع نفسه، ص195.

[2] - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص199.

[3] - المرجع نفسه، ص200.

[4] -المرجع نفسه، ص201.

[5] - المرجع نفسه، ص201.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

يزعم تمام حسان أن الكلام اسم وفعل وضمير وأداة جعلت لمعنى فيختلف في ذلك مع سيبويه في التقسيم ويتفق معه في المعنى حين يقول سيبويه: **"الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"**[1] فبتقسيم سيبويه للكلام إنما قسم الكلام العربي دون غيره من العجم وربما تقسيم تمام حسان من قبيل وجود تقسيم كلي تندرج تحته كل اللغات وتختلف في حيثيات بسيطة، لكن تقسيمه هذا لا ندعي أنه صحيح، فقد تحدث في ذلك الزجاجي إذ ينفي القسم الرابع حين قال:**" ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل فيكون للكلام قسم رابع"**[2]، ويرى أن الكلم ينقسم إلى فعل واسم وحرف فقط.

ذكرنا فيما سبق كل مخرجات تمام حسان الرامية لإنشاء درس لغوي حديث الولادة، آخذا في اعتباراته الوظيفة التي تؤديها اللغة باختلاف وظائفها وتعدد سياقاتها وتنوع مستوياتها منطلقا تأسيسيا لهذا الدرس، الذي نلفيه فيه متأثرا بما وفد من الغرب أكثر مما روي لنا من العرب القدامى، قولنا هذا لا يعني أن تمام حسان ترجم أعمال الغرب دونما تحقيق أو مراجعة أو تصويب بل أسس لنفسه معجما مصطلحيا ومفهوماتيا قائما بذاته، كما سبق ووضحنا في نظرته لمفهوم الموقعية وأهميتها، وتصحيح بعض المغالطات التي وقف عليها علماء العرب وهو تصحيح لم يلتفت إليه أحد غيره، يعتبر الرجل مجددا، أمد الدرس اللغوي بالكثير من الحقائق العلمية التي أثبت صحتها، إقرارنا هذا لا يعني أننا لم نجد من يضاهيه مكانة وعلما ومنافسة، فإبراهيم أنيس يعد من بين هؤلاء الذين اعتبرناهم مجددين لا ناقلين لما جاء قبلهم ولا مترجمين لما آت بعدهم.

خاتمة:

إن هذا النسيج العلائق لتركيبية الخطاب اللغوي لدى تمام حسان وتمثلاته في تحسين الدرس الفونولوجي في شتى تمظهراته البنائية القائم على صميمية الترابط بين أسيقة النص وبنائه الصوغي ووفقا لسلمية بنائية (صوت، مفردة، تركيب)، يعكس صورة المجتمع المنشود من خلال الخطاب الفونولوجي.

ومن هنا ارتهنتُ إلى التراتبية التصاعدية لكينونة لغة الخطاب الفونولوجي الموجه بفعالية الأنموذج اللساني بوصفه سلوكا اجتماعيا يحاول صوغه وصناعة الأنموذج المقصود في تشكيلة المجتمع وربطه بالهدف الفونولوجي، والذي تسيره ثبوتية العرف وتحولاته الطارئة في كينونته المشكلة لطبيعة الإنسان بصفة عامة.

---

[1] - سيبويه، الكتاب ج1، ص 2.

[2] -الزجاجي، إيضاح في علل النحو، ص42.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

قائمة المصادروالمراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1989، ط5.
2. - أبو القاسم الزَّجَّاجي، إيضاح في علل النحو، المحقق مازن المبارك الناشر: دار النفائس – بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1986.
3. تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية، الطبعة الرابعة، مصر، دار النشر عالم الكتب،2001.
4. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990.
5. جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تعريب صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966.
6. سيبويه (ت 180) الكتاب المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1988.
7. عباس علي اسوسوة، وقائع مؤتمر العربية من الدرس اللغوي، جامعة تعز، اليمن.
8. عبد الجليل، عبد القادر. سلسلة الدراسات اللغوية. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1 :1990.
9. عبد الرحمان حسن عارف، تمام حسان سيرة ذاتية ومسيرة علمية، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2002.
10. http://www.islam online.net
11. Http://.majma.org.jo/magma/index24
12. http://www.islam online.net

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

أثرُ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ: دراسةٌ في كتابِ (البيانُ في غريبِ إعرابِ القرآنِ) لابنِ الأنباريِّ

The Impact of Dialectical Specificity on Guiding Linguistic Judgments: A Study in the Book "Al-Bayan fi Gharib I'rab Al-Quran" by Ibn Al-Anbari

ط.د. ليث النيص (جامعة النجاح الوطنية، فلسطين)

Ph.D. Student Laith Nees (An-Najah National University, Palestine)

Abstract:

This research aims to examine significant examples from the book Al-Bayan fi Gharib I'rab Al-Quran by Ibn Al-Anbari, in order to trace the impact of dialectal specificity as an effective tool and a standard criterion in guiding linguistic judgments. The research highlights the scope of this influence, especially in instances where parsing is challenging or disputed. The study addresses selected and concise issues related to orthographic, grammatical, morphological, or phonological rules, or those associated with Quranic readings, in light of the discussions led by grammarians and linguists on each issue individually. The purpose is to clarify the role of dialectal specificity in Ibn Al-Anbari's approach to evaluating and preferring linguistic judgments as reflected in his work on this book.

The research concludes that the author highlights a unique importance language specificity of that was not evident among his predecessors, thereby creating an urgent need to attempt to track this specificity, identify its determinants, uncover its guiding principles, and examine the uniqueness of its proponent. This influence is found scattered throughout the book, and the research seeks to present some indicative features, track their measurements, and discuss them.

Keywords: Dialectal Specificity, Linguistic Issues, Ibn Al-Anbari, Guiding Judgments.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مستخلص:

يناقشُ البحثُ نماذجا دالّةً منْ كتابِ (البيان في غريبِ إعرابِ القرآنِ) لابنِ الأنباريّ، محاولًا تلمّسَ أثرِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ بوصفِها أداةً فاعلةً، وضابطًا معياريًّا في توجيهِ الأحكامَ اللغويّةَ، ومنبئًا عنْ الحيّزِ الذي يشغلُهُ هذا الأثرُ، لا سيّما في المواطِنِ التي يشكُلُ إعرابُها، أوْ يُخْتَلَفُ في أيّ وجهٍ بها، ويقفُ عندَ مسائلَ مقتضبةٍ ومختارةٍ، منْها ما هوَ متعلّقٌ بأحكامٍ إملائيّةٍ، أوْ نحويّةٍ، أوْ صرفيّةٍ، أوْ صوتيّةٍ، أوْ ما هوَ متلبّثٌ بالقراءاتِ القرآنيّةِ، في ضوءِ ما ناقَشَهُ علماءُ النحوِ وأهلُ اللغةِ في كلّ مسألةٍ على حدى؛ لبيانِ أثرِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في نهجِ ابنِ الأنباريّ في تقليبِ أوجهِ الأحكامِ وترجيحِها، في عملِهِ بهذا الكتابِ.

وتوصّلَ البحثُ إلى أنَّ المؤلّفَ قدْ أولى هذهِ الخصوصيّةَ أهميّةً لمْ تَكُنْ متبدّيةً عندَ منْ حذَو حذوَهُ مِنْ أهلِ اللغةِ السابقينَ، ما جعلَ الحاجةَ إلى محاولةِ رصدِ هذِهِ الخصوصيّة، والوقوفِ عندَ مُحَدِّداتِها، والكشفِ عنْ مُوَجِّهاتِها، والنظرِ إلى تفردِ صاحبِها، حاجةً ماسّةً، إذْ برزَ هذا الأثرُ مبثوثًا في مواطنَ مُتفَرِّقَةٍ في الكتابِ، سعى البحثُ إلى تقديمِ بعضِ الملامحِ الدالّةِ عليْها، وتتبّعِ قياساتِها، ومناقشتِها.

الكلماتُ المفتاحية: الخصوصيّةُ اللهجيّةُ، المسائلُ اللغويّةُ، ابنُ الأنباريّ، توجيهُ الأحكامِ.

مقدّمة:

شغلتِ اللهجاتُ العربيّةُ القديمةُ حيّزًا واسعًا منَ اهتمامِ اللغويّينَ والنحاةِ، الأوائلِ منْهُمْ والمحدثينَ، وذلكَ لِما لَها من أثرٍ ساطعٍ في ضبطِ اللسانِ العربيّ وقياسِ أحكامِهِ، وتوجيهِها في ضوءِ منابعِ اللغةِ الصافيةِ، ومواطنِ أصلِها الأولى؛ لذا كانَ لا بدَّ من إيلائِها شيئًا منَ الحرصِ أثناءِ عرضِ الأحكامِ اللغويّةِ وترجيحِ أوجهُها، ما حَلَّ العِقالَ، وأرخى الزمامَ للمضيّ في تلمّسِ ذاكَ الأثرِ في دراساتِ اللغويّينَ القدماءِ، وهذا ما سيعنى البحثُ في رصدِهِ وتتبُّعِهِ عندَ أبي البركاتِ عبد الرحمنِ بنِ محمّدٍ بنِ عبيدِ اللهِ الأنصاريّ، المعروفِ بابنِ الأنباريّ (ت577هـ)، في كتابِهِ (البيانُ في غريبِ إعرابِ القرآنِ)، الذي أودعَهُ جملةً منَ المواطنِ التي يشكُلُ إعرابُها في القرآنِ الكريم.

وتكمنُ أهميّةُ هذا البحثِ في محاولتِهِ إبرازَ أثرِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ ابنِ الأنباريّ الأحكامَ اللغويّةَ في مواردَ عدّةٍ، وعرضِها في ضوءِ ما قالَهُ النحاةُ وأهلُ اللغةِ في كلّ مسألةٍ، إذْ سيناقشُ نماذجَ دالّةً منْ شأنِها الإنباءُ عنْ ذاكَ الأثرِ، وتخليصِ شواهدِهِ وتلخيصِ فوائدِهِ، بالخوضِ في مظانّ مصادرِهِ ومواردِهِ.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وخليقٌ القولُ إنَّ ثَمَّ أبحاثًا ودراساتٍ اعتنَتْ بهذا الكتابِ، وأجرَتْ فيهِ قراءاتٍ متنوّعةً، منْها ما هوَ قريبٌ منْ موضوعِ هذا البحثِ مقاربةً يسيرةً في بعضِ **الجزئيّاتِ**، ومنْها:

- رسالةُ (ماجستير) بعنوانِ **(التعليلُ النحويُّ في كتابِ البيانُ في غريبِ إعرابِ القرآنِ لأبي البركاتِ الأنباريّ)**، للباحثة سجى محمّد عليّ نجم[1]، ووجهُ التقارُبِ اليسيرِ أنَّ الدراسةَ عُنِيَت بالتعليلِ في الكتابِ، إلّا أنَّها صرفَتْ اهتمامَها إلى التعليلِ النحويّ حسب، وبحثَت ذلكَ في سياقاتٍ ومضامينَ نحويّةٍ، إذ درست العلّةَ النحويّةَ في المرفوعاتِ والمنصوباتِ والمجروراتِ، واتَّخَذَتِ التعليلَ منطلقًا لإجراءِ البحثِ في الكتابِ؛ لبيانِ التعليلِ النحويِّ فيهِ بعامّةٍ، منْ غيرِ أن يكونَ البحثُ مستندًا إلى ركيزةٍ معيّنةٍ لإسنادِ هذا التعليلِ، وهوَ ما يختلفُ معَ هذا البحثِ، الذي عُنِيَ بالتعليلِ منْ جميعِ أوجُهِهِ وجوانبِهِ وليسَ السياقَ النحويَّ فقطْ، علاوةً على استنادِهِ إلى ركيزةٍ رئيسةٍ في هذا التعليلِ، وهيَ الخصوصيّةُ اللهجيّةُ التي يدورُ البحثُ حولَ أثرِها في توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ.
- بحثٌ بعنوانِ **(العلّةُ النحويّةُ بينَ النظريّةِ والتطبيقِ: قراءةٌ في فكرِ أبي البركاتِ بنِ الأنباريّ**، للباحثِ نور الدين قفي[2]، ويعتني البحثُ بدراسةِ العلّةِ النحويّةِ منْ حيثُ كونها مبحثًا فكريًا، وإجراءً تطبيقيًّا، استحوذَ على جهودِ ابنِ الأنباريِّ ونهجِهِ في مصنّفاتٍ عدّةٍ، كالإنصافِ وأسرارِ العربيّةِ والبيانِ في غريبِ إعرابِ القرآنِ، ثمَّ أبرزَ مواطنَ متفرّقةً منْها بدا فيها التعليلُ النحويُّ جليًّا عندَهُ، وذلكَ بعدَ أنْ مَهّدَ إليْهِ بمِهادٍ نظريٍّ جرى فيهِ الوقوفُ على مفهومِ العلّةِ لغةً واصطلاحًا، وذلكَ كلُّهُ ليسَ منْ شأنِ هذا البحثِ، إذْ لا ينصرفُ اهْتمامُهُ إلى الإبانَةِ عنِ العلّةِ بأيِّ موردٍ، فجهدُهُ منصبٌّ في التركيزِ على المواطنِ التي أُرْجِئَ فيها التعليلُ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، ولمْ يعتنِ بكونِ تلكَ المواطنِ خائضةً في نحوِ اللغةِ أَوْ صرفِها أَوْ أصواتِها؛ إذْ هيَ جميعًا محلُّ العنايةِ.

ومنْها ما هوَ غيرُ متقاربٍ معَ موضوعِ هذا البحثِ، ولا يلتقي معَهُ بسبيلٍ، سوى الكتاب الذي جَرَتْ دراستُهُ، كبحثٍ بعنوانِ **(شواهدُ الأسماءِ المبهمةِ في كتابِ البيان في غريبِ إعرابِ القرآنِ لابنِ الأنباريّ)**، للباحثِ حسن

---

[1] نجم: سجى محمّد عليّ، التعليل النحويّ في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباريّ، رسالة ماجيستير، جامعة كربلاء/ كليّة العلوم الإسلاميّة، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، 2002م.

[2] مجلّة التراث جامعة زيان عاشــور بالجلفة - مخبر جمع دراســة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، قفي: نور الدين، العلّة النحويّة بين النظريّة والتطبيق : قراءة في فكر أبي البركات بن الأنباريّ، ع15،2014م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

منصور أحمد سوركتي[1]، وبحث آخرَ بعنوانِ (**الحذفُ والتقديرُ في حروفِ المعاني الثنائيّةِ في كتابِ البيان في غريبِ إعرابِ القرآنِ لأبي البركاتِ الأنباريِّ**)، للباحثةِ سعاد كريدي كنداوي[2]، وغيرِ ذلكَ.

وسيبدأُ البحثُ بمدخلٍ فيهِ شرحٌ لمقصدِ العنوانِ، وإبانةٌ يسيرةٌ عنْ بعضِ مُحَدّداتِهِ ومُوَجّهاتِهِ، ثمَّ سيخوضُ في المسائلِ اللغويّةِ المتفرّقةِ منَ الكتابِ؛ لعرضِها ومناقشتِها، وتلمّسِ أثرِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ فيها عندَ ابنِ الأنباريِّ.

مدخلٌ؛ في مقصدِ العنوانِ:

قبلَ أنْ يُخاضَ في غمارِ هذا البحثِ، لا بُدَّ منَ الإشارةِ إلى ما يتضمّنَهُ عنوانُهُ من دلالاتٍ تتجلّى فيها طبيعتُهُ، ويتبيّنُ فيها نهجُهُ العامُّ، وذلكَ بالوقوفِ على ما ينشطرُ إلَيْهِ، وهيَ ثلاثةُ أشطرٍ، هذا بيانُ إيضاحِها:

- **الخصوصيّةُ اللهجيّةُ**: إذْ تمثّلُ أساسًا هامًّا منْ أسسِ الدرسِ اللغويِّ بعامّةٍ؛ لما لها من أثرٍ بارزٍ في تحديدِ معالمِ توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ، ودراسةِ أهمّ ما ينبثقُ عنْها من المواردِ والمضامينِ، في مضاميرَ علميّةٍ شتّى، واللهجةُ باصطلاحِ العلمِ الحديثِ تعني "مجموعةً مِنَ الصفاتِ اللغويةِ تنتمي إلى بيئةٍ خاصّةٍ، ويشتركُ في هذِهِ الصفاتِ جميعُ أبناءِ هذِهِ البيئةِ، وبيئةُ اللهجةِ هي جزءٌ من بيئةٍ أوسعَ وأشملَ تضمُّ عدَّةَ لهجاتٍ، لكلٍّ منْها خصائصُها، ولكنَّها تشتركُ جميعًا في مجموعةٍ منَ الظواهرِ اللغويةِ التي تيسّرُ اتّصالَ أبناءِ هذِهِ البيئاتِ بعضِهِم، وفهمَ ما قدْ يدورُ بينَهُمْ منْ حديثٍ، فهوَ يتوقّفُ على قدرِ الرابطةِ التي تربطُ بينَ هذِهِ اللهجاتِ"،[3] ما يفضي إلى القولِ إنَّ البيئةَ التي تترعرعُ هذِهِ اللهجاتُ في ربوعِها تمثّلُ اللغةَ الشاملةَ العامّةَ التي تتألّفُ من مجموعةٍ من اللهجاتِ، فالصلةُ بينَ اللغةِ واللهجةِ قياسًا إلى هذا هيَ صلةٌ بينَ العامّ والخاصّ[4]، وهذا ما يعطي للهجةِ خصوصيّةً متفرّدةً، يسيّرُها أداةً وضابطًا معياريًّا في إقامةِ الأحكامِ اللغويّةِ وتوجيهِها.

---

(2) مجلّة جامعة أم درمان الإسلاميّة، سوركتي، حسن منصور أحمد، شواهد الأسماء المهمة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ، ع23، 2013م، السودان.

(3) مجلّة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، كنداوي: سعاد كريدي، الحذف والتقدير في حروف المعاني الثنائيّة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباريّ، ع34 ، 2019م الإمارات .

(4) أنيس: إبراهيم، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصرية،1992م، ط8، ص:16.

(5) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

- **توجيهُ الأحكامِ اللغويّةِ**؛ إذْ يستقي مضمونَهُ منْ تَعَدُّدِ أوجهِ الكلامِ، فوجهُ الكلامِ "السبيلُ الذي تقصدهُ بِهِ"[1]، فإنْ تَعَدَّدَتِ الأوجهُ احتاجَتْ إلى مُسَوّغٍ يُسَوّغُ اختيارَ أحدِها، وعلّةٍ تُرَجّحُ ذلكَ الاختيارَ، وسببا يحدّدُ الحكمَ الذي ينبني عليهِ، فالتوجيهُ منْ وجهِ الكلامِ، ويعني **اصطلاحًا** "تحديدَ وجهٍ ما للحكمِ"[2]، ويقسّمهُ تمّام حسّان قسمينِ، توجيهًا استدلاليًّا وتوجيهًا تأويليًّا، فأمّا الأوّلُ فيكونُ بالسماعِ أو بالقياسِ الذي يكونُ حملًا على اللفظِ أوْ حملًا على المعنى، وأمّا الآخرُ فيكونُ قائمًا على الردِّ إلى الأصلِ، أوِ التماسِ مخرجٍ أوْ مسوّغٍ للمسألةِ اللغويّةِ[3].

- **كتابُ (البيانُ في غريبِ إعرابِ القرآنِ) لابنِ الأنباريّ**؛ إذ تتجلّى أهميّةُ هذا السفرِ لكونِهِ عُنِيَ في صرفِ اهتمامِهِ إلى ما يشكُلُ في الكتابِ العزيزِ من الإعرابِ، فيأتي على غريبِ إعرابِ كُلِّ سورةٍ على حدى، ويُبْرِزُ غامِضَها، ويقلّبُ وجوهَ إعرابِها، فهوَ ينتقي ما تتعدّدُ الآراءُ في إعرابِهِ، ويطوي كشحًا عن المواطِنِ التي لا يستدعي إعرابُها إعمالَ فكرٍ، وقدْ أشارَ مُحَقّقُ الكتابِ إلى أنَّ ابنَ الأنباريِّ كانَ لا يخلطُ شرحَهُ النحويَّ بالشرحِ البلاغيّ أوِ المعنويّ إلّا نادرًا[4]، إشارةً إلى شدّةِ عنايتِهِ بالإبانَةِ عن التفسيرِ النحويّ بذكرِ أوجهِ الإعرابِ المتعدّدةِ للمسألةِ الواحدةِ؛ بغيةَ توجيهِها، وترجيحِ أحدِها، وحريٌّ القولُ إنَّ الكتابَ لمْ يُخَصَّص في المسائلِ النحويّةِ حسبُ، بلْ شَهِدَ تعريجًا على بعضِ الظواهِرِ الصوتيّةِ في اللغةِ، كالإعلالِ بالقلبِ، والإعلالِ بالنقلِ، والإعلالِ بالحذفِ، والإدغامِ، وغيرِ ذلكَ[5]، علاوةً على إشارتِهِ إلى بعضِ المسائلِ الإملائيّةِ، وتعريجِهِ الظاهرِ على الاختلافاتِ بينَ القراءاتِ، ومسائلِ الخلافاتِ في المذاهبِ النحويّةِ؛ إذ يحوي جملةً منَ التعليلاتِ النحويّةِ والصرفيّةِ لتوجيهِ بعضِ الأحكامِ اللغويّةِ[6]، وأشارَ المحقّقُ كذلكَ إلى أنَّ هذا الكتابَ آخرُ كُتُبِهِ، وقدْ أودعَ فيهِ خلاصةَ علمِهِ وجملةَ خبراتِهِ وتجاربِهِ[7].

---

[2] ابن منظور: محمّد بن مكرم بن عليّ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3، مادّة (و، ج، ه)، ج13، ص:556

[3] حسّان: تمّام، الأصول، دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللغويّ عند العرب، النحو -فقه اللغة – البلاغة، عالم الكتب، القاهرة،2004م، ط1، ص:206.

[4] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[5] ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، مؤسّسة دار الهجرة،1403هـ، ط1، ج1 ص:16

[6] دار غريب للطباعة والنشر، شحاتة: قباري محمّد عبده، ظواهر صوتيّة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ، ع4، 2002م، م5 ص:13.

[7] قفي: نور الدين، العلّة النحويّة بين النظريّة والتطبيق: قراءة في فكر أبي البركات بن الأنباريّ، ص:91.

[8] ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ: البيان في غريب إعراب القرآن، ج1 ص:16.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وفيما هوَ قادمٌ عرضٌ لمجموعةٍ منَ المواطنِ المتفرّقةِ في الكتابِ، ممّا أرجأَ ابن الأنباريِّ تعليلَها إلى بعضِ الخصوصيّاتِ اللهجيّةِ؛ إذ سيجري تتبّعُ أثرِ هذهِ الخصوصيّةِ في توجيهِهِ للأحكامِ اللغويّةِ باختلافِ طبيعتِها، ومناقشة هذا التوجيهِ في ضوءِ ما عرضَهُ النحاةُ وأهلُ اللغةِ في كلِّ مسألةٍ على حدى، وسيُكْتَفى بالإشارةِ إلى مسألةٍ واحدةٍ في كلِّ موطنٍ.

أوّلًا، في توجيهِ بعضِ الظواهرِ الإملائيّةِ:

ناقشَ ابنُ الأنباريِّ قولَهُ تعالى: ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ (البقرة: 3)، وعلّقَ على أصلِ كلمةِ (الصلاة)؛ محاولًا توجيه كتابتِها بالواوِ في الرسمِ القرآنيِّ، إذ يقول: "والصّلاةُ أصلُها (صلوة) على وزنِ (فعلة)، فتحرّكَتْ الواوُ وانفتحَ ما قبلَها فقُلِبَتْ ألفًا، والدليلُ على أنّها منقلبةٌ عن واوٍ قولُهم في جمعِها (صلوات) وكتبوا الصلاةَ بالواوِ على لغةِ الأعرابِ. لأنّهُم ينحونَ بِها نحوَ الواوِ." [1]

فقدْ أرجأَ ابنُ الأنباريِّ السببَ في كتابةِ الصلاةِ بالواوِ في القرآنِ الكريمِ إلى أنَّ كتبةَ الوحيِ نَحَوا في ذلكَ نَحْوَ بعضِ الأعرابِ فكتبوها على لغتِهِمْ، إذْ هُوَ ارْتَكَزَ على ما في لغةِ الأعرابِ منَ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ؛ لتخريجِ هذِهِ المسألةِ وتأويلِها على هذا الوجهِ، بخلافِ غيرِهِ منْ أهلِ اللغةِ، الذينَ أبانوا أصلَها من غيرِ أن يرجؤوا السببَ في كتابتِها بهذِهِ الهيئةِ إلى لغةِ بعضِ الأعرابِ، ومنْهُم بْنُ أبي داودِ السجستانيُّ (ت316هـ) الذي نقلَ قولًا يشيرُ فيهِ إلى أنَّها مكتوبةٌ بهذا الوجهِ؛ التزامًا بإملاءِ الرسولِ (صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ)، إذْ يقولُ: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ: " رَأَيْتُ فِي نُسْخَةِ كِتَابِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، يَعْنِي ابْنَ الْعَاصِ: وَأَمْلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَذْكُرُونَ حَرْفًا بِحَرْفٍ، فَإِذَا فِيهِ: كَانَ «ك ون» ، وَحَتَّى (ح ت ا) ، مِثْلُ «الصَّلَوةِ» بِوَاوٍ، وَ «الزَّكَوةِ» بِوَاوٍ، وَ «الْحَيَوةِ» بِوَاوٍ."[2]

وبعضُ النحاةِ لمْ ينصرفْ اهتمامُهُمْ إلى الإبانةِ عنْ سرِّ كتابتِها بهذِهِ الهيئةِ، واكتفوا بإيضاحِ أصلِها، كالنحّاسِ (ت338هـ) الذي أشارَ إلى أنَّها قدْ تكونُ مشتقّةً مِنَ الصلوينِ اللذينِ هما عرقانِ في الردفِ ينحنيانِ مَعَ الركوعِ والسجودِ، أوْ قدْ تكونُ مشتقّةً منْ معنى الدعاءِ[3]، مصداقًا لقولِ الأعشى: (البسيط)

---

[2] ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج1 ص:47.

[3] السجستانيّ: أبو بكر ابن أبي داود، المصاحف، تحقيق محمّد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م، ط1، ص:259.

[4] النحّاس: أبو جعفر أحمد بن محمّد، معاني القرآن، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1409هـ، ط1، ج1 ص:84.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا يَا رَبُّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ والوَجَعا

عَلَيْكِ مِثْلُ الَذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعا [1]

وكذا فعلَ مكيٌّ بْنُ أبي طالبٍ القيسيُّ (ت437هـ)، الذي اكتفى بالإشارةِ إلى أنَّ أصلَها (صَلَوَةٌ)، على وزنِ (فَعَلَةٌ)، مستدلًّا على ذلكَ بجمعِها على (صَلَوات)[2]، ولمْ يأبَهْ بتعليلِ كتابتِها بالواوِ؛ لأنَّ في إيضاحِ أصلِها غِنًى عنْ ذلكَ وكفايةً بِهِ، وهوَ صنيعُ الأصبهانيِّ (ت535هـ)، الذي أجملَ هذهِ الآراءَ كلَّها في أصلِ كلمةِ (الصلاة)، وأضافَ إليْها رأيًا آخرَ وهوَ أنْ يكونَ أصلُها بمعنى اللزومِ؛ لأنَّ فيها ملازمةً للعبادةِ على الحدِّ الَذي أمرَ اللهُ بِهِ[3]، مصداقًا لقولِ الحارثِ بْنِ عُبادٍ: (الخفيف)

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِها عَلِمَ الل هُ وَ إِنّي بِحَرِّها الْيَوْمَ صَالِ. [4]

منْ غيرِ أنْ يكونَ لَهُ اهْتِمامٌ بتعليلِ الكتابةِ بالواوِ كذلكَ، بخلافِ الزمخشريِّ (ت538هـ) الذي حاولَ تعليلَها منْ غيرِ أن يسرفَ بالغَ العنايةِ بشرحِها، إذْ يقولُ:" والصلاةُ: فعلةٌ منْ صلّى، كالزكاةِ منْ زكّى. وكتابتُها بالواوِ على لفظِ المفخّمِ."[5]، ولمْ يكنْ تعليلُهُ مرتكزًا على الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، ولمْ يُشِرْ إلى ذلكَ أدنى إشارةٍ، بل اكتفى بالقولِ إنّها كُتِبَتْ بهذا الوجهِ على لفظِ المُفَخَّمِ.

ممّا أُشيرَ إليهِ يتبيّنُ أَنَّ ابنَ الأنباريِّ قد أرجأَ السببَ في كتابةِ الواوِ في كلمةِ (الصلاة) إلى خصوصيّةٍ لهجيّةٍ للغةِ عندَ بعضِ الأعرابِ، بخلافِ النحاةِ وأهلِ اللغةِ الذينَ منهُم من لم يصرف اهتمامَهُ إلى تعليلِ ذلكَ، بل هم أوضحوا الأصلَ فيها إيضاحًا غيرَ مشفوعٍ بتعليلٍ؛ لأنّهُمْ رأوا أنَّ ما أَتَوا بِهِ كافٍ ومغنٍ، ومنْهُم كالزمخشريِّ علّلَ ذلكَ تعليلًا مخالفًا، وأمّا توجيهُ ابنِ الأنباريِّ لهذِهِ المسألةِ بأثرٍ منْ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، فإمّا أن يكونَ ناجمًا عن تأثّرٍ حقيقيٍّ بهذِهِ العلّةِ واقتناعٍ شديدٍ بها، أوْ عائدًا إلى رغبةٍ عنْدَهُ في توجيهٍ متفرّدٍ عنْ سابقيهِ.

---

[2] الأعشى: ميمون بن قيس، الديوان، تحقيق محمّد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1950م، ط1،ص:101.

[3] القيسيّ: أبو محمّد مكيّ بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، ط2، ج1 ص:76.

[4] الأصبهانيّ: إسماعيل بن محمّد بن الفضل، إعراب القرآن، تحقيق فائزة بنت عمر المؤيّد، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض،1995م، ط1، ج1 ص:41.

[5] الحارث بن عباد: الديوان، تحقيق أنس عبد الهادي أبو هلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2008م، ط1، ص:193.

[1] الزمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1407هـ، ط3، ج1 ص:40.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ثانيًا، في توجيهِ مواطنِ الخلافِ النحويّ:

يتناولُ ابنُ الأنباريِّ مواطِنَ الخلافِ النحويِّ التي وردَت في القرآنِ الكريمِ في كتابِهِ، ويقلّبُ وجوهَ إعرابِها، ثمَّ يرجّحُ أحدَها، وللخصوصيّةِ اللهجيّةِ أثرٌ في هذا التناولِ، إذْ لا تكادُ تخلو المسائلُ التي عرضَها ولو من وجهٍ واحدٍ يُرْجَأُ فيهِ التعليلُ إليْها، وليسَ شرطًا ترجيحُهُ، فتكفي الإشارةُ إليْهِ بوصفِهِ واحدًا مِنَ الوجوهِ التي قدْ يكونُ لَها حَظٌّ مِنَ التوجيهِ والترجيح، بخلافِ كثيرٍ مِنَ النُحاةِ، الذينَ لا يشيرونَ إلى المُوَجِّهِ اللهجيّ إلّا إذا استدعتِ الضرورةُ القصوى ذلكَ، بحيثُ لا يَكونُ بُدٌّ مِنَ الإشارةِ إليْهِ، ومنْ هذِهِ المسائلِ، ما وَرَدَ في قولِهِ تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِوعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**} (المائدة: 69)

وقدْ ناقشَ ابنُ الأنباريِّ أوجهَ رفعِ (والصائبون)، وقلّبَها، إذْ أشارَ إلى عدّةِ أوجهٍ، ومنها الوجهانِ الغالبانِ اللذانِ رجّحَهُما، وهما وجهُ كونِ الكلامِ فيهِ تقديمٌ وتأخيرٌ وهيَ مرفوعةٌ على الابتداءِ بمعنى الاستئنافِ، وهذا رأيُ سيبويهِ (ت180هـ) الذي يقولُ في هذا: "وأمّا قولُهُ عزَّ وجلَّ: " والصابئون "، فعلى التقديمِ والتأخيرِ، كأنَّهُ ابتدأَ على قولِهِ " والصابئون" بعدَما مضى الخبرُ."[(1)]، ووجهُ عدِّ نصبِ (إنَّ) نصبًا ضعيفًا، فيقدّرُ خبرٌ للصابئينَ والنصارى وهوَ قولُهُ تعالى: {**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**}، ويُقَدَّرُ (للذينَ آمنوا والذينَ هادوا) خبرٌ كالذي قُدِّرَ للصابئينَ والنصارى، وهذا رأيُ الفرّاءِ (ت207هـ) الذي يقولُ: "فإنَّ رفعَ (الصَّابِئِينَ) على أَنَّهُ عطفٌ عَلَى (الذين)، و (الذين) حرفٌ عَلَى جهةٍ واحدةٍ فِي رفعِهِ ونصبِهِ وخفضِهِ، فلمّا كانَ إعرابُهُ واحدًا وكانَ نصبُ (إنّ) نصبًا ضعيفًا، وضعفُهُ أَنَّهُ يقعُ عَلَى الاسمِ ولا يقعُ عَلَى خبرِهِ، جازَ رفعُ الصابئينَ."[(2)]

وقدْ انتصرَ الزجّاجُ (ت311هـ) لرأيِ البصريّينَ في هذِهِ المسألةِ، عادًّا قولَ الفرّاءِ ومن قبلِهِ الكسائيِّ غلطًا وإقدامًا عظيمًا على كتابِ اللهِ[(3)]؛ لأنَّ (إنَّ) عملَت عملينِ النصبَ والرفعَ معًا، وليسَ في العربيّةِ ناصبٌ ليسَ مَعَهُ مرفوعٌ، علاوةً على أنَّ نصبَها يستحيلُ كونُهُ ضعيفًا؛ لأنّها تتخطّى الظروفَ وتنصبُ الأسماءَ التي بعدَها[(4)]، وأمّا ابنُ الأنباريِّ فيعرضُ منْ بينِ الأوجهِ التي أشارَ إليها وجهًا، لم يُشَرْ إليْهِ كثيرًا عندَ النُحاةِ؛ لأنَّهُ ليسَ ممّا يجدرُ ترجيحُهُ،

[(2)] سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،1988م، ط3، ج2 ص:155.

[(3)] الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمّد عليّ النجّار وعبد الفتّاح إسماعيل الشلبي، الدار المصريّة للتأليف والترجمة، ط1، ج1 ص:311.

[(4)] الزجّاج: أبو إسحق، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ط1، ج2 ص:192.

[(5)] المصدر نفسه: ج2 ص:193.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وتوجيهُ الحكمِ قياسًا إليهِ، وهوَ الوجهُ الذي أرجأَ فيهِ ابنُ الأنباريّ التعليلَ في المسألةِ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، إذْ يقول: "وكذلكَ قولُ منْ قالَ: إنَّما رفعُ (الصابئون) لأنَّهُ جاءَ على لغةِ بني الحارثِ بنِ كعبٍ؛ لأنَّهُم يقولونَ: مررتُ برجلانِ وقبضتُ منْهُ درهمانِ، فيقلبونَ الياءَ ألفًا لانفتاحِ ما قبلَها فقطْ، ولا يعتبرونَ حركتَها في نفسِها فيكتفونَ في القلبِ بأحدِ الشرطينِ لأنَّهُم لا يعملونَ (إنَّ)، وهذا إنَّما حُكِيَ عنهُم في التثنيةِ، فأمّا الجمعُ الصحيحُ فلمْ يُحْكَ عنْهُم ولا يعتبرونَ لفظَهُ" (1).

فهذا الوجهُ يبدو على قدرٍ غيرِ يسيرٍ مِنَ الضعفِ؛ لكثرةِ الوجوهِ الغالبةِ عليْهِ، ولقلّةِ ما أشارَ إليْهِ النحاةُ الأوائلُ، ولكونِ بني الحارثِ بنِ كعبٍ يقلبونَ الياءَ ألفًا في المثنّى، وليسَ مثبتًا ذلكَ في الجمعِ، إلّا أنَّ ذلكَ لمْ يُجَنِّبْهُ الإشارَةَ إلى هذا الوجهِ الضعيفِ والقياسَ عليْهِ، ومفادُهُ أنَّ بني الحارثِ بْنِ كعبٍ، يهملونَ (إنَّ) ولا يعملونَها، وإشارتُهُ إلى هذا الوجهِ رغمَ ازدحامِ الوجوهِ الأخرى، دليلٌ على أنَّهُ كانَ يولي في منهجِهِ الخصوصيَّةَ اللهجيّةَ عنايةً خاصّةً في توجيهِ أحكامِهِ اللغويّةِ، وإنْ لَم يرجحِ الأحكامَ المتأثّرةَ بِها في حالِ ضعفِها.

ثالثًا، في توجيهِ بعضِ الظواهرِ الصوتيّةِ:

ناقشَ ابنُ الأنباريّ إدغامَ ياءِ الجمعِ بياءِ الإضافةِ عندَ حذفِ النونِ للإضافةِ، وذلكَ في معرضِ تعليقِهِ على قولِهِ تعالى: {**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [إبراهيم:22]

فقولُهُ: (بِمُصْرِخِيَّ)، اجتمعتْ فيهِ ياءُ الجمعِ مَعَ ياءِ الإضافةِ فَأُدْغِمَتا، ثمَّ فُتِحَتْ الياءُ، وتعليلُ النحاةِ في هذا الشأنِ؛ لئلّا تجتمعَ الكسرةُ والياءُ بعدَ كسرتينِ، حيثُ إنَّ هذا رأيُ جمهورِهِمْ فيها(2)؛ إذْ عَدَّ بعضُهُمْ قراءتَها بالكسرِ (بِمُصْرِخِيِّ) لحنًا، وأمّا ابنُ الأنباريّ فلمْ يختلفْ مَعَ الجمهورِ بكونِ تحريكِها بالفتحِ الوجه الغالبَ، إلّا أنَّهُ أرجأَ ذلكَ إلى خصوصيّةٍ لهجيّةٍ مفادُها أنَّها فُتِحَتْ على لغةِ منْ يفتحُها، أَوْ فُتِحَتْ لمنعِ التقاءِ الساكنينِ على لغةِ منْ يسكنُها، إذْ يقولُ في تعليقِهِ على هذِهِ الآيةِ: "قرئَ بفتحِ الياءِ وكسرِها، أمّا الفتحُ فيحتملُ وجهينِ، أحدَهما: أنْ يكونَ أدغمَ ياءَ

---

(2) ابن الأنباريّ: عبد الرحمن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج1 ص:300.

(3) العكبريّ: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلميّة، لاهور– باكستان، ج2 ص:68.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الجمعِ في ياءِ الإضافةِ، بعدَ حذفِ النونِ للإضافةِ، على لغةِ منْ يفتحُها، وبقيَتْ الفتحةُ على حالِها، والثانيَ: أنْ يكونَ فتحُها لالتقاءِ الساكنينِ على لغةِ منْ أسكنَها"(1).

فهوَ لمْ يخالفِ الجمهورَ في ترجيحِ الوجهِ الغالبِ، لكنَّهُ امتازَ بعلّةِ توجيهِ هذا الوجهِ وترجيحِهِ، إذْ لَمْ يُعنَ الجمهورُ بالإبانةِ عنْ لغةِ فتحِ الياءِ عندَ بعضِ الأعرابِ؛ لكونِها تبدو حجّةً أضعفَ منْ حجّةِ استثقالِ كسرِها، فعُمِدَ إلى تحريكِها بالفتحِ؛ إذِ النحاةُ لا يشيرونَ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ إلّا إذا استدعتِ الضرورةُ ذلكَ، وهذا واقعٌ حتمًا في توجيهِ الوجهِ الآخرِ منْ هذِهِ المسألةِ، وهوَ وجهُ كسرِ الياءِ في (مُصْرِخِيِّ)، إذ قيلَ إنَّها قراءةٌ للأعمشِ، رغمَ معارضةِ الجمهورِ لهذا الوجهِ، ومنْهُمُ الأخفشُ الأوسطُ (ت 215هـ) الذي يقولُ عنْ قراءتِها بهذا الوجهِ: "وبلغَنا أنَّ الأعمشَ قالَ (بِمُصْرِخِيِّ)، بالكسرِ، فهذِهِ لحنٌ لمْ نسمعْ بِها منْ أحدٍ منَ العربِ ولا أَهلِ النحوِ." (2)، وكذا ابنُ قتيبةَ (ت276هـ)، الذي خطّأَ الأعمشَ بقولِهِ: "وقرأَ الأعمشُ: (وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ)، بكسرِ الياءِ، كأنَّهُ ظنَّ أنَّ الباءَ تخفضُ الحرفَ كُلَّهُ"(3)، رغمَ أنَّ لَها توجيهًا لهجيًّا بالكسرِ، أشارَ إليْهِ ابنُ الأنباريِّ وغيرُهُ.

فهوَ رغمَ ترجيحِهِ فتحَ الياءِ، إلّا أنَّهُ لمْ يُعارِضْ وجهَ كسرِها كما عارضَهُ الجمهورُ، بلْ بدا مُدافِعًا عنْ هذا الوجهِ، مُحاوِلًا التِماسَ المخرجِ لَهُ، واهتدى بعدَ تفسيرٍ مفصّلٍ لأصلِها إلى ما لم يكنْ ليستغنِيَ عنْ الاهتداءِ بِهِ في مواطنَ أقلَّ احتياجًا إلى ذلكَ منْ هذا الموطنِ، وهوَ توجيهُها توجيهًا لهجيًّا على لغةِ بعضِ الأعرابِ، إذْ يقولُ: "وأمّا الكسرُ فقدْ قالَ النحويونَ:

إنَّهُ رديءٌ في القياسِ، وليسَ كذلكَ، لأنَّ الأصلَ في التقاءِ الساكنينِ الكسرُ، وإنَّما لمْ يُكْسَر لاستثقالِ الكسرةِ على الياءِ، فعدلوا إلى الفتحِ، إلّا أنَّهُ عدلٌ ههنا إلى الأصلِ، وهو الكسرُ ليكونَ مطابقًا لكسرةِ همزةِ (إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ) لأنَّهُ أرادَ الوصلَ دونَ الوقفِ، فلمّا أرادَ هذا المعنى، كانَ كسرُ الياءِ أدلَّ على هذا منْ فتحِها، وإنَّما عابَ منْ عابَ هذِهِ القراءةَ، لأنَّهُ توهّمَ كسرةَ الياءِ بالباءِ، على أنَّ كسرةَ ياءِ المتكلمِ لغةٌ لبعضِ العربِ حكاهُ أبو عليٍّ قطربٌ" (4).

---

(2) ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج2 ص:57.

(3) الأخفش: أبو الحسن المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قرعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط1، ج2 ص:407.

(4) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص:44.

(5) ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج2 ص:57.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وقدْ وافقَهُ في هذا المذهبِ أبو حيّانَ الأندلسيُّ (ت745هـ)، الذي لمْ يُجِزْ تخطئتَهَا بأيِّ وجهٍ، ونقلَ جملةً مِنَ الأقوالِ والآراءِ لمتقدّمينَ تشيرُ إلى صحّتِها قياسًا إلى كونِها لغةً لبعضِ الأعرابِ، إذ يقولُ: "فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِيهَا: إِنَّهَا خَطَأٌ، أَوْ قَبِيحَةٌ، أَوْ رَدِيئَةٌ، وَقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَة أَنَّهَا لُغَةٌ، لَكِنَّهُ قَلَّ اسْتِعْمَالُهَا. وَنَصَّ قُطْرُبٌ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ فِي بَنِي يَرْبُوعٍ. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ وَهُوَ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّحْوِيّينَ الْكُوفِيّينَ: هِيَ صَوَابٌ، وَسَأَلَ حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ وَذَكَرَ تَلْحِينَ أَهْلِ النَّحْوِ فَقَالَ: هِيَ جَائِزَةٌ. وَقَالَ أَيْضًا: لَا تُبَالِي إِلَى أَسْفَلِ حَرَكَتِهَا، أَوْ إِلَى فَوْق. وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ بِالْخَفْضِ حَسَنَةٌ. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: هِيَ جَائِزَةٌ. وَلَيْسَتْ عِنْدَ الإِعْرَابِ بِذَلِك، وَلَا التِفَاتَ إِلَى إِنْكَارِ أَبِي حَاتِمٍ عَلَى أَبِي عَمْرٍو تَحْسِينَهَا، فَأَبُو عَمْرٍو إِمَامُ لُغَةٍ، وَإِمَامُ نَحْوٍ، وَإِمَامُ قِرَاءَةٍ، وَعَرَبِيٌّ صَرِيحٌ، وَقَدْ أَجَازَهَا وَحَسَّنَهَا."[1]، ما يفضي إلى القولِ إنَّ توجيهَ بعضِ الأحكامِ اللغويّةِ عندَ ابنِ الأنباريّ، وإنْ كانَ مطبوعًا بأثرٍ مِنَ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، لكنَّهُ لمْ يَكُنْ تأثّرًا اعتباطيًّا، أَوْ خبطَ عشواءَ، بلْ كانَ لَهُ ما يُسَوّغُهُ بعللٍ لا يجانبُها الصوابُ في أحيانٍ كثيرةٍ.

رابعًا، في توجيهِ بعضِ الظواهرِ الصرفيّةِ:

ومنْ هذا ما وردَ عندَهُ في تناولِهِ قولَهُ تعالى: **{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}** (مريم: 55)

حيثُ وقفَ عندَ كلمةِ (مَرْضِيًّا)، محاولًا إبانةَ أصلِها، مستندًا في سبيلِ ذلكَ إلى ما في الكلمةِ منْ لغاتٍ، إذْ لا بدَّ منْ اللجوءِ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ؛ بغيةَ تحديدِ وجهِها الأصليّ، وقدْ كانَ هذا صنيعَ ابنِ الأنباريِّ الذي اتَّكَأَ على الركيزةِ اللهجيّة، في هذِهِ الكلمةِ، وأبانَ عنْ لغتينِ فيها، لكنَّهُ اكتفى بعرضِهِما، ولمْ يرجّحْ أيًّا منَ الوجهينِ بدقّةٍ؛ لأنَّ في كلِّ وجهٍ خصوصيّةً متفرّدةً لأصحابِها، لا ضابطَ يحكمُ توجيهَها على وجهِ اليقينِ، ومفادُ هذهِ الخصوصيّةِ يتلخّصُ في كونِ تثنيةِ (الرضا) (رضوان) أَوْ (رضيان)، فلمْ يَزِدْ عنْ الإحالةِ إلى كلتا اللغتينِ، فيقولُ: "مرضيًّا، أصلُهُ (مرضويًا)، إلّا أنَّهُمْ أبدلوا منَ الضمّةِ كسرةً، ومنَ الواوِ ياءً، هذا على لغةِ منْ قالَ في تثنيةِ (الرضا) (رضوان)، ومن قالَ: (رضيان) كانَ منْ ذواتِ الياءِ، وأصلُهُ (مرضوي) فاجتمعت الواوُ والياءُ والسابقُ منْهُما ساكنٌ، فقلبوا الواوَ ياءً وأدغموا الياءَ في الياءِ، وكسروا ما قبلَ الياءِ توطيدًا لَها، ولأنَّهُ أخفُّ."[2]، وهذا مُتَّسِقٌ مَعَ القاعدةِ المشهورةِ في علمِ

---

[2] أبو حيّان الأندلسيّ: محمّد بن يوسف بن عليّ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج6 ص:429.

[3] ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج2 ص:127.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الصرفِ، في اسمِ المفعولِ منَ الثلاثيِّ، الذي يقتضي إنْ كانَتْ لامُ الثلاثيِّ واوًا وبُنِيَ منْهُ اسمُ مفعولٍ، أنْ تُدْغَمَ الواوُ الأولى في الثانيةِ، وقدْ يُعْمَدُ إلى إبدالِ الواوِ المشدّدةِ ياءً مشدّدةً؛ إذا كرهوا اجتماعَ واوينِ قبلَهُما ضمّةٌ[1].

إلّا أنَّ النحاةَ وأهلَ اللغةِ قدْ تباينَتْ مواقفُهُم في ذلكَ، فالفرّاءُ يذهبُ إلى أنّها لوْ وردَتْ (مرضوًّا) لكانَ صوابًا؛ لأنَّ أصلَها برأيِهِ منَ (الرضوان)، ويشيرُ إلى أنَّ الذينَ قالوا (مرضيًّا) قدْ بَنَوْها على (رضيتُ)[2] ، وليسَ على (الرضيان)، وهيَ عندَ الزجّاجِ كذلكَ (مرضوًّا)، وأضافَ أنّها جائزةٌ في اللغةِ حسبُ، وليسَ ذلكَ في القرآنِ؛ لكونِهِ مخالفًا المصحفَ[3]، ثمَّ هوَ بعدَ ذلكَ يجملُ الآراءَ الواردةَ فيها كلَّها، بقولِهِ: "والخليلُ وسيبويهِ وجميعُ البصريينَ يقولونَ: فلانٌ مَرْضُوٌّ ومَرضِيٌّ، وأرضٌ مَسْنُوّةٌ ومَسْنِيّةٌ إذا سُقِيَتْ بالسواني أوْ بالمطرِ، والأصلُ الواوُ إلّا أنّها قُلِبَتْ عندَ الخليلِ لأنَّ الطرفَ قبلَها واوٌ ساكنةٌ ليسَ بحاجزٍ حصينٍ، وكأنّها مَفْعُلٌ بضمِّ العينِ، ومَفْعُلٌ منْ أدواتِ الواوِ يُقْلَبُ إلى مَفْعِلٍ، لأنَّ الواوَ لا تكونُ طرفًا وقبلَها متحرّكٌ في الأسماءِ، وأمّا غيرُ سيبويهِ والبصريينَ فلَهُمْ فيهِ قولانِ:

قالَ بعضُهُمْ: لمّا كانَ الفعلُ منْهُ رضيتُ فانتقلَ منَ الواوِ إلى الياءِ، صارَ مَرْضِيًّا، وقيلَ إنَّ بعضَ العربِ يقولُ في تثنيةِ رضىً رِضيَان، ورِضَوَانِ، فمنْ قالَ رضيانِ لمْ يكنْ منْ قولِهِ إلّا مرضيٌّ، ومنْ قالَ رضوان في التثنيةِ جازَ أنْ يقولَ فلانٌ مَرْضوٌّ ومرضِيٌّ."[4]، وكذا صنيعُ النحّاسِ في هذا الموطنِ، إذْ طَوَّفَ بينَ هذِهِ الآراءِ كلِّها، وأضافَ أنَّ (مرضوٌّ) لغةٌ عندَ أهلِ الحجازِ، وأشارَ كذلكَ إلى أنَّهُ لا يجيزُ البصريّونَ غيرَ (الرضوان) في التثنيةِ[5]، وهوَ صنيعُ القرطبيِّ (ت671) أيضًا[6].

ممّا تبيّنَ يتّضحُ أنَّ الموطنَ الذي استدعتْ فيهِ الضرورةُ اللجوءَ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ الأحكامِ اللغويّةِ، صاحبَهُ ترجيحٌ منَ النحويّينَ وأهلِ اللغةِ، وهذا ما لمْ يَسِرْ فيهِ ابنُ الأنباريِّ، إذِ اكتفى بعرضِ الأوجهِ دونَ ترجيحِ أحدِها، بخلافِ المواطنِ التي لمْ تَكُنْ فيها الحاجةُ إلى استدعاءِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ لتكونَ مقياسًا في توجيهِ هذِهِ الأحكامِ ماسّةً، إذْ كانَ في بعضِها يعمدُ إلى الترجيحِ بعدَ أنْ يرتكزَ على الخصوصيّةِ موجّهًا وضابطًا لذلكَ الترجيحِ ما أمكنَهُ الأمرُ، وإنْ لمْ يُمْكِنْهُ؛ لقلّةِ أهميّتِها يكتفِ بذكرِها؛ لأنَّهُ لوْ لَمْ يلجأْ إلى الترجيحِ لما كانَ لاستدعائها

---

(2) الثمانيني: أبو القاسم عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، 1999م، ط1، ص:265.

(3) الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ج2 ص:170.

(4) الزجّاج: أبو إسحق إبراهيم السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، ج3 ص:334.

(5) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(6) النحّاس: أبو جعفر أحمد بن محمّد، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1421هـ ط1، ج3 ص:14.

(1) القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1964م، ط2، ج11 ص:116.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

في توجيهِ الحكمِ أيُّ معنًى، وعندما صارَ اللجوءُ إلى التعليلِ بِها لا مفرَّ منْهُ، في توجيهِ الأحكامِ، وَسَلَكَهُ النحاةُ جمهورُهُمْ؛ لَمْ تبدُ عنايتُهُ بالترجيحِ كما كانَتْ في سالِفِ المواطِنِ، لأنَّ الاحتكامَ إليْها متحقّقٌ في كلّ حالٍ؛ لذا فهوَ يذكرُ الأوجهَ بغيرِ ترجيحٍ، إذ في ترجيحِ منْ سبقَهُ كفايةٌ وغنًى؛ لكونِ الخصوصيّةِ اللهجيّةِ في هذا الموطنِ قدْ فرضَت نفسَها على كُلِّ مُنْشَغِلٍ بتوجيهِ الحكمِ، فهيَ ذاتُ ثقلٍ في ميزانِ الحكمِ، وليسَت هامشيّةً، ولمّا انقضتِ هذِهِ الغايةُ بفعلِ الأوائلِ أحجمَ عَنْ الاستزادةِ واكْتفى بِما أَتَوا بِهِ.

خامسًا، في توجيهِ بعضِ القراءاتِ:

أشارَ ابنُ الأنباريّ في كتابِهِ هذا إلى كثيرٍ مِنَ المسائلِ التي شهدَتْ خلافًا بينَ القرّاءِ في قراءاتِهِم، وحاولَ الإبانَةَ عن بعضِ وجوهِها، وارتكزَ على الخصوصيّةِ اللهجيّةِ؛ لِتُعينَهُ في توجيهِ بعضِ الأحكامِ، وتفسيرِ شيءٍ منْ أوجهِ القراءاتِ في ضوئِها، ومنْ ذلكَ قولُهُ تعالى: {**قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْراً**} (الكهف: 76).

وكانَ تعليقُهُ على كلمةِ (لدنّي)، التي تُقرَأُ بتشديدِ النونِ وتخفيفِها، فتشديدُها يقتضي أنْ تكونَ النونُ الأولى أصليّةً في الكلمةِ، والثانيةُ نونَ الوقايةِ، فأُدْغِمَتا معًا، وأمّا في تخفيفِها فقولانِ، أشارَ الجمهورُ إلى أحدِهِما وهوَ أنْ تكونَ مشدّدةً في أصلِها، لكنَّها خُفِّفَتْ وحُذِفَتْ منْها نونُ الوقايةِ، وقدْ أوردَ ابنُ الأنباريّ هذا القولَ، إلّا أنَّهُ قدَّمَ عليْهِ قولًا آخرَ، وهوَ الرأيُ الذي طُبِعَ بتأثّرٍ عائدٍ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ، ومفادُهُ أنْ تكونَ خُفِّفَتْ على لغةِ منْ يقولونَ في (لدن) (لد)، وبذا تكونُ النونُ في الكلمةِ نونَ وقايةٍ، ولا نونَ أصليّةٌ في الكلمةِ[1]، وأهلُ اللغةِ لمْ يعتنوا بالإبانَةِ عنْ هذا الوجهِ عنايةً بالغةً، فمنْهُمْ منْ لمْ يُشِرْ إلى توجيهِ هذِهِ القراءاتِ واكتَفى بالإشارَةِ إلَيْها نفسِها، كابنِ مجاهدٍ (ت324هـ) الذي أشارَ إلى أنَّ ابنَ كثيرٍ وأبا عمرٍو وابنَ عامرٍ وحمزةَ والكسائيَّ قرأوها جميعًا (لدنّي) بتشديدِ النونِ، وأمّا نافعٌ فقرأَ (لَدُنِي) بضمّ الدالِ معَ تخفيفِ النونِ، وعاصمٌ قرأَها في روايةِ أبي بكرٍ بتسكينِ الدالِ معَ إشمامِها شيئًا منَ الضمّ، وقرأَها في روايةِ حفصٍ كما قرأَها حمزةُ والكسائيُّ[2].

وأمّا منْ وجّهَ تخفيفَ النونِ فكانَ توجيهُهُ توجيهَ الجمهورِ، كابنِ خالويهِ، (ت370هـ) الذي أشارَ إلى أنَّهُ قدْ حُذِفَت النونُ تخفيفًا، وذلكَ لمّا اجتمعتْ نونانِ تنوبُ أحداهُما عنْ لفظِ الأخرى، فخُفِّفَت الكلمةُ بإسقاطِ إحداهُما؛ كراهيةَ اجتماعِهِما [3]، وصارَتْ الكلمةُ بنونٍ واحدةٍ، وأُنْشِدَ على ذلكَ شاهدًا قولُ الشاعرِ: (الرمل)

---

(2) ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، ج2 ص:114.

(3) ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العبّاس التميميّ، السبع في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1400هـ، ط2، ص:396.

(4) ابن خالويه: الحسين بن أحمد، الحجّة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرّم، دار الشروق، بيروت، 1401هـ، ط4، ص:228.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

أَيُّهَا السَائِلُ عَنْهُ وَعَنِي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسُ مِنِي (1)

وأمّا السرقسطيُّ (ت455هـ) فقد اكتفى بذكرِ أوجهِ القراءاتِ ونسبها إلى أصحابها كصنيعِ ابنِ مجاهدٍ، فلم يزد عنْ إشارتِهِ إلى أنَّ القرّاءَ جميعًا اتّفقوا على ضمِّ الدالِ معَ تشديدِ النونِ فيها، ما خلا نافعًا الذي خفَّفَها، وأبا بكرٍ في روايتِهِ عنْ عاصمٍ، الذي أسكنَ الدالَ بإشمامِها شيئًا منَ الضمِّ معَ تخفيفِ النونِ(2)، وإشمامُها الضمَّ يعني "إيماءً بالشفتينِ إلى الضمّةِ بعدَ سكونِ الدالِ وقبلَ كسرِ النونِ، كما لخّصَهُ موسى بنُ حزامٍ عنْ يحيى بنِ آدمَ ويكونُ أيضًا إشارةً بالضمّ إلى الدالِ فلا يُخْلَصُ لهَا سكونٌ، بلْ هيَ على ذلكَ في زنةِ المتحرّكِ، وإذا كانَ إيماءً كانَتِ النونُ المكسورةُ نونَ (لَدُنْ) الأصليّةَ، كُسِرَتْ لسكونِهَا وسكونِ الدالِ قبلَهَا، وَأُعْمِلَ العضوُ بينَهُمَا، ولمْ تكنِ النونَ التي تصحبُ ياءَ المتكلّمِ، بلْ هيَ المحذوفةُ تخفيفًا لزيادتِهَا، وإذا كانَ إشارةً بالحركةِ كانتِ النونَ المكسورةَ التي تصحبُ ياءَ المتكلّمِ لملازمتِهَا إيّاهَا، كُسِرَتْ كسرَ بناءٍ وَحُذِفَتِ الأصليَّةُ قبلَهَا للتخفيفِ."(3)

وبذا يتجلّى أنَّ ابنَ الأنباريِّ كانَ أكثرَ عنايةً منْ غيرِهِ بتوجيهِ القراءاتِ في ضوءِ ما يحسنُ الاستعانةُ بِهِ منَ الخصوصيّاتِ اللهجيّةِ، إذِ انصبَّ التركيزُ العامُّ للمنْشَغِلينَ في هذا المضمارِ على أوجهِ القراءاتِ نفسِها، ومنْ عُنِيَ بالتوجيهِ منْهُمْ اتّكأَ على ما يراهُ الجمهورُ، ولمْ يكنْ موغلًا في الخوضِ في دقائقِ المسألةِ؛ بقصدِ ترجيحِ وجهٍ ما، أَوْ توجيهِ حكمٍ غيرِ غالبٍ توجيهُهُ، وقدْ كانَ صنيعُ ابنِ الأنباريّ في هذا سيرًا على منهجِهِ، الذي اتّضحَ في غيرِ موطنٍ أنَّهُ يولي اللهجاتِ العربيّةَ عنايةً متفرّدةً في مضاميرَ شتّى؛ بقصدِ إقامةِ الحكمِ اللغويِّ إقامةً مكينةً قوائمُها، وراسخةً دعائمُها.

ومنَ الحريِّ الإشارةُ إلى أنَّ ابنَ الأنباريّ، كما تبيّنَ في سالفِ المواطنِ، لمْ يكنْ يحدّدُ القبيلةَ التي تنتمي إليْها الخصوصيّاتُ اللهجيّةُ التي اتّكأَ عليْها في توجيهِهِ للأحكامِ اللغويّةِ، وقدْ بدا هذا جليًّا في كلِّ مسألةٍ أرجأَ فيها العلّةَ

---

(2) وردَ البيتُ مجهولًا صاحبُهُ في كتبٍ كثيرةٍ منْ كتبِ النحوِ والأدبِ، ومنْها

ابن يعيش: موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن عليّ، شرح المفصّل، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2001م ط1، ج2 ص:350.

الأربلي: علاء الدين بن عليّ، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، تحقيق عليّ نائل حسن أبو زيد، مطبعة وادي النيل، مصر، ص:71.

المراديّ: أبو محمّد بدر الدين بن حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م، ط1، ص:151.

الأشموني: عليّ بن محمّد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، ط1، ج1 ص:104.

(3) السرقسطيّ: أبو طاهر إسماعيل بن خلف، العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد وخليل العطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1405هـ، ص:124.

(4) ابن الجزريّ: شمس الدين محمّد بن محمّد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق عليّ محمّد الضباع، المطبعة التجاريّة الكبرى، ج2 ص:313 و314.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

التي أقامَ حكمَهُ فيها إلى لغاتِ بعضِ القبائلِ، ما خلا مسألةً واحدةً، عيّنَ فيها القبيلةَ التي اختصّت في لهجتِها بموجّهٍ استندَ إليْهِ، وهيَ قبيلةُ الحارثِ بنِ كعبٍ، وهذِهِ إشارةٌ إلى أنّهُ لمْ يكنْ يعنى بأصحابِ اللغةِ أدنى عنايةٍ، بلْ هوَ منصرفٌ حرصُهُ إلى الخصوصيّةِ التي اتّسَمَتْ بِها اللهجةُ نفسُها، دونَ إقامةِ أيّ وزنٍ لأصحابِها؛ لذا أُهْمِلَ ذكرُهُمْ، وهذا يشبهُ صنيعَ الفرّاءِ في إشارتِهِ إلى المواطِنِ التي حَوَتْ تباينًا لهجيًّا في توجيهِ الأحكام، إذْ كانَ يحدّدُ أصحابَ هذِهِ اللهجاتِ طورًا، ولا يحدّدُهُمْ في طورٍ آخرَ[1]، فتكفي الإشارةُ إلى كونِ ذلكَ لغةً عندَ بعضِ العربِ.

خاتمة:

قدْ أنبأَ البحثُ عنْ عددٍ منَ **الخلاصاتِ** التي توصّلَ إليْها، ومنْ أهمّها:

- برزت الخصوصيّةُ اللهجيّةُ بوصفِها أداةً فاعلةً، وضابطًا معياريًّا هامًّا عندَ أبي البركاتِ ابنِ الأنباريّ في توجيهِ الأحكامَ اللغويّةَ؛ حيثُ استعانَ فيها بصورةٍ جليّةٍ في كثيرٍ منَ المواطِنِ التي تنبئُ عنْ ظواهرَ لغويّةٍ يحتاجُ توجيهُها إلى إعمالِ فكرٍ، في مواضعَ متفرّقةٍ منْ هذا الكتابِ.
- لمْ تكنِ المواطنُ التي أرجأَ فيها ابنُ الأنباريِّ العلّةَ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ متعلّقةً بطبيعةٍ معيّنةٍ، بلْ هيَ ظواهرُ عامّةٌ شاملةٌ تنهلُ منْ منابعَ لغويّةٍ متنوّعةٍ، فمنْها ما هوَ إملائيٌّ، ومنْها ما هوَ صوتيٌّ، ومنْها ما هوَ نحويٌّ، ومنْها ما هوَ صرفيٌّ، ومنْها ما يتلبّثُ بالقراءاتِ واختلافِ توجيهِها.
- لمْ يكنِ النحاةُ وأهلُ اللغةِ يولونَ الخصوصيّةَ اللهجيّةَ عنايةً فائقةً، وقدْ يكتفونَ بما يأتونَ بِهِ منْ إيضاحٍ وتوجيهٍ، إذا كانَ ذاكَ مغنيًا عنِ التعليلِ اللهجيّ، بخلافِ ابنِ الأنباريِّ الذي بدا حريصًا على إرجاءِ توجيهِ الأحكامِ إلى خصوصيّاتِها اللهجيّةِ، حتّى لوْ كانَ ذلكَ غيرَ مجدٍ في أحيانٍ.
- لمْ يكنِ الضعفُ في بعضِ الأوجهِ التي يُرْجَأُ فيها التعليلُ إلى الخصوصيّةِ اللهجيّةِ يُجَنِّبُ ابنَ الأنباريِّ الإشارةَ إليْها والقياسَ عليْها، رغمَ ازدحامِ الأوجهِ الغالبةِ عليْها، وقلّةِ منْ عُنِيَ بهذا التوجيهِ من النحويّينَ لضعفِهِ، وكانَ يكتفي بذكرِها منْ غيرِ أنْ يُرَجّحَها.

---

[8] مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب، الجبالي: حمدي، مظاهر من التباين اللهجيّ في (معاني القرآن) للفرّاء، ع2، 2007م، الأردن، م4 ص:187.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

- أحسنَ ابنُ الأنباريِّ توظيفَ التعليلِ بالخصوصيّةِ اللهجيّةِ في توجيهِ الأحكامَ اللغويّةَ، إذْ لمْ يكنْ لجوؤهُ إليْها لجوءً اعتباطيًّا، بلْ كانَ لَهُ ما يسوّغُهُ، مشفوعًا بالحجّةِ السليمةِ التي تجعلُ الاتّكاءَ عليْها في سبيلِ ترجيحِ وجهٍ ما، أمرًا سائغًا شرابُهُ، ليسَ بمستهجنٍ.

- منْ أوجهِ العنايةِ الصريحةِ لابنِ الأنباريِّ بالخصوصيّةِ اللهجيّةِ نفسِها، أنَّهُ لمْ يكنْ يُعنى بترجيحِ وجهٍ ما لأيِّ حكمٍ، إذا أُمِنَ الإرجاءُ إليْها واتُّفِقَ على ذلكَ عنْدَ الجمهورِ، ولمْ يكنْ ثمَّ مفرٌّ منَ التوجيهِ اللهجيِّ، فحينئذٍ يكتفي بذكرِ أوجهِ الترجيحِ التي ذكرَها الأوائلُ ولا يرجّحُ أحدَها، ففي ترجيحِ منْ سبقوهُ غنًى، وأنَّهُ لمْ يكنْ يُعنى بذكرِ أصحابِ اللهجةِ نفسِها، وكانَ يكتفي بالإشارةِ إلى اللهجةِ فقطْ، إذْ لمْ يُعَيِّنْهُمْ إلّا في موطنٍ واحدٍ حسبُ.

قائمة المصادروالمراجع:

1.ابن الأنباريّ: عبد الرحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاريّ، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، ط1، مؤسّسة دار الهجرة، 1403هـ.

2.ابن الجزريّ: شمس الدين محمّد بن محمّد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق عليّ محمّد الضباع، المطبعة التجاريّة الكبرى.

3.ابن خالويه: الحسين بن أحمد، الحجّة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرّم، ط4، دار الشروق، بيروت، 1401هـ.

4.ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت.

5.ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العبّاس التميميّ، السبع في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1400هـ.

6.ابن منظور: محمّد بن مكرم بن عليّ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

7.ابن يعيش: موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن عليّ، شرح المفصّل، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2001م.

8.أبو حيّان الأندلسيّ: محمّد بن يوسف بن عليّ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

9.الأخفش: أبو الحسن المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قرعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

10.الأربلي: علاء الدين بن عليّ، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، تحقيق عليّ نائل حسن أبو زيد، مطبعة وادي النيل، مصر.

11.الأشموني: عليّ بن محمّد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفيّة بن مالك، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

12.الأعشى: ميمون بن قيس، الديوان، تحقيق محمّد حسين، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1950م.

13.-الأصبهانيّ: إسماعيل بن محمّد بن الفضل، إعراب القرآن، تحقيق فائزة بنت عمر المؤيّد، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، 1995م.

14.-الفرّاء: أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمّد عليّ النجّار وعبد الفتّاح إسماعيل الشلبي، ط1، الدار المصريّة للتأليف والترجمة.

15.أنيس: إبراهيم، في اللهجات العربيّة، ط8، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1992م.

16.الثمانيني: أبو القاسم عمر بن ثابت، شرح التصريف، تحقيق إبراهيم بن سليمان البعيمي، ط1، مكتبة الرشد، 1999م.

17.الجبالي: حمدي، مظاهر من التباين اللهجيّ في (معاني القرآن) للفرّاء، مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب، الأردن، 2007م، م4 ع2.

18.الحارث بن عباد: الديوان، تحقيق أنس عبد الهادي أبو هلال، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2008م.

19.حسّان: تمّام، الأصول، دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللغويّ عند العرب، النحو-فقه اللغة– البلاغة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2004م.

20.الزجّاج: أبو إسحق، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

21.الزمخشريّ: أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

22.السجستانيّ: أبو بكر ابن أبي داود، المصاحف، تحقيق محمّد بن عبده، ط1، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

23.السرقسطيّ: أبو طاهر إسماعيل بن خلف، العنوان في القراءات السبع، تحقيق زهير زاهد وخليل العطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1405هـ.
24.-سوركتي، حسن منصور أحمد، شواهد الأسماء المبهمة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ، مجلّة جامعة أم درمان الإسلاميّة، السودان، 2013م، ع23.
25.سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
26.شحاتة: قباري محمّد عبده، ظواهر صوتيّة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباريّ، دار غريب للطباعة والنشر، 2002م، م5 ع4.
27.العكبريّ: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلميّة، لاهور – باكستان.
28.القرطبيّ: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1964م.
29.قفي: نور الدين، العلّة النحويّة بين النظريّة والتطبيق: قراءة في فكر أبي البركات بن الأنباريّ، مجلّة التراث، جامعة زيان عاشور بالجلفة-مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، 2014م، ع15.
30.القيسيّ: أبو محمّد مكيّ بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1405هـ.
31.كنداوي: سعاد كريدي، الحذف والتقدير في حروف المعاني الثنائيّة في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباريّ، مجلّة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، الإمارات، 2019م، ع34.
32.المراديّ: أبو محمّد بدر الدين بن حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمّد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م.
33.نجم: سجى محمّد عليّ، التعليل النحويّ في كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباريّ، جامعة كربلاء/ كليّة العلوم الإسلاميّة، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، 2002م.
34.النحّاس: أبو جعفر أحمد بن محمّد، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1421هـ.
35.النحّاس: أبو جعفر أحمد بن محمّد، معاني القرآن، ط1، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1409هـ.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

السّخرية وخرق الأنساق عند شعراء التحامق في الشّعر العباسي

Irony and the Violation of Patterns among the Poets of "taḥāmoq"* in Abbasid Poetry

د. عبد الحفيظ مشكوري (جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب)

Dr. Abdelhafid Mechkouri/Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco

Abstract:

In this research, we focused on studying irony and the violation of patterns among the "Taḥāmākh" poets in Abbasid poetry, from a semiotic perspective. We demonstrated that the poets of this movement, such as: Abu Al-Abr, Ibn Salwa, and Al-Ahnaf Al-Akbari, established a poetic school based on pretending to be fool in their daily life and poetry. They used irony and broke up with the prevailing patterns.

Thus, we highlighted the cultural significations of playing fool, and then revealed the instances of irony among the poets who play fool, most notably: mocking the decadence of their time and the prevailing mindset, which constitute the reasons for the shift from reason to playing fool. We also exemplified the breaking of the patterns, which can be summed up in three manifestations: demolishing Arabic poetics, creating a different language, which we labeled as the language of the absurd, then breaking the pattern of appearance.

Keywords: Irony - Abbasid poetry - Poets pretending to be fool - Semiotics.

---

* - refers to people who pretend to be foolish.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مستخلص:

ركزنا في هذا البحث على دراسة أشكال السخرية وخرق الأنساق عند شعراء التحامق في الشعر العباسي، من منظور سيميائي. فبينا أن شعراء هذا الاتجاه مِثْلَ: أبي العبر وابن صلوة والأحنف العكبري، قد أسسوا ما يشبه المدرسة الشعرية القائمة على التظاهر بالحمق حياةً وشعرًا، فعبروا عن مجموعة من أشكال السخرية وخرق الأنساق السائدة.

هكذا سنبرز دلالات التحامق الثقافية، ثم نكشف مظاهر السخرية عند شعراء التحامق، وعلى رأسها: السخرية من رداءة الزمان والسخرية من العقل السائد، باعتبارهما سببين مهمين في التحول من العقل إلى الحمق. لنتوقف بعدها عند مظاهر خرق النسق عندهم التي تتلخص في ثلاثة **تجليات**: هدم الشعرية العربية، وتشكيل لغة مغايرة، يمكن تسميتها لغة العبث، ثم خرق نسق المظهر.

الكلمات المفتاحية: السخرية- الشعر العباسي- شعراء التحامق- السيميائيات.

مقدمة:

يحفل التراث العربي بأشكال تعبيرية مهمة ومثيرة ظلت على هامش الأدب الرسمي، وعلى رأسها **ظاهرة التحامق** التي تشير المصادر التراثية إلى شيوعها وازدهارها في العصر العباسي. إذ اتجه بعض العقلاء من شعراء وعلماء وفقهاء إلى ادعاء الحمق والتظاهر به، وذلك لتحقيق غايات متعددة، وبسببها تنوع التحامق إلى أنواع، صنفها **محمد بن حبيب النيسابوري** إلى أربعة أنواع، أولها: من تعاطى التحامق ليُوري شأنه ويستره عن الناس. وثانيها: التحامق من أجل الاستمتاع وطيب العيش، وثالثها: التحامق للنجاة من بلاء أو آفة أو للتخلص من مسؤولية كالقضاء، ورابعها: التحامق لنيل الغنى*، وفي هذا الصنف يندرج الشعراء المتحامقون. فقد تحول هؤلاء الشعراء من العقل إلى التظاهر بالحمق حياة وشعرا، وذلك لمَّا وجدوا أن حياة العقل والشعر الجاد لا ينفق ولا يغني، فاختاروا التحامق سبيلا للكسب، فأسسوا ما يمكننا اعتباره مدرسة شعرية قائمة على التظاهر بالحمق.

بهذا سنركز في هذا البحث على إشكالية التحامق في الشعر العباسي من منظور سيميائي، محاولين مساءلة أشكال السخرية وخرق الأنساق التي حفلت بها هذه الظاهرة الشعرية، من خلال دراسة بعض المرويات والأشعار

*- ينظر في هذا الصدد ابن حبيب النيسابوري، **عقلاء المجانين**، تقديم وتعليق نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، 2015، ص/ص 45-50.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

التي تركها شعراؤها كأبي العبر وابن صلوة وأبي العنبس الصيرمي والأحنف العكبري. **فما دلالات التحامق الشعري؟ وما أشكال السخرية وخرق الأنساق الثقافية التي حفل بها؟**

1. دلالات التحامق:

يُشْتَقُّ التَّحَامُقُ من فعل تَحَامَقَ على وزن تفاعل ك: تجانن وتجاهل وتمارض، ويشير الفعل إلى التظاهر بالحمق، أي تَكَلُّف الحماقة[1]، ولا تخفى على القارئ إشارة مادة **"حمق"** في المعجم العربي إلى ذهاب العقل واسْتِتَارِهِ وكَسَادِهِ، فالحُمْقُ من الكَسَادِ كما يقول ابن الأعرابي، وحمقت السوق بمعنى كسدت[2]. بهذا المعنى فالتحامق هو إرادة الإنسان للحمق، والإرادة فعل عقلي بامتياز، ومن ثم فالمتحامق عاقلٌ في الأصل، لكنه يتجه نحو الحمق ويبتغيه ويتكلفه، يبدو لنا أن ماهية التحامق تتجلى في العقل لأن صاحبه عاقل، وليس في الحمق. وهذا ما تُذَكِّرُ به سِيَرُ المُتَحَامِقِينَ في العصر العباسي، حيث كانَ المشهورون بالتحامق، كأبي العبر وابن صلوة والحجاج وأبي العنبس الصيرمي والأحنف العكبري وغيرهم، عقلاءَ أدباءَ ظرفاءَ جَمَعُوا شيئًا من الأدب والعلم والفلسفة. بَيْدَ أنَّ التَحَوُّل يَقَعُ بَيْنَ ما كانوا عليه من عقل وما آلوا إليه من تحامق، بشكل إرادي، فإذا كان فِعْلُ "جُنَّ" في العربية مبنيا للمجهول ودالا على غياب الإرادة، فإن فعل "تحامق" أو "تجانن" مبني للمعلوم وقائم على الإرادة؛ أي إرادة الحمق والتظاهر به. إنَّ التَّظاهُرَ سِمةٌ تعريفيةٌ أساسيةٌ للتَّحَامُقِ، فـ"المتحامق هو الشخص الذي يتظاهر بالحمق ويأتي من الأقوال والتصرفات ما يخص الأشخاص البله دون أن يكون فيه بلاهة"[3].

فالتحامقُ محاكاةٌ للحمق والجنون، لكن هذه المحاكاة ليست تصويرا حقيقيا ومطابقا لهما، بقدر ما هي تشخيص لصورة خيالية حول الأحمق أو المجنون ظَلَّت تَرَى فيه نوعا من العمى المعرفي والخواء الإدراكي والهذيان غير المنتج.بذلك ستظهر صورة المتحامق باعتباره ممثلا في مشهد متخيل يقترب من مشهد الجنون، لكنه ليس متطابقا معه. ولأنَّ محاكاة الحمق عنصر مركزي في ماهية التحامق، فإن المحاكاة المبنية على مشهد تمثيلي تتحول إلى أشكال عديدة من السخرية، كالسخرية من الزمان والعقل والمجتمع والشعر. فالسخرية تِيمةٌ أساسية في شعر التحامق، وهو ما يفسر إيراد أخبار المتحامقين في كتب التراث على هامش المتن من أجل التفكه، وإيرادها في مجالس العلم لكسر رتابة الجد والعقل، وفي مجالس الأنس بغاية الضحك واللهو.

---

1 - ابن منظور (محمد جمال الدين)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مادة حمق.

2 - نفسه.

3 - جهانكَير أميري، فاروق نعيمي، **"التحامق في الشعر المملوكي"**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 22، ربيع 2012، ص27.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

2. السخرية من رداءة الزمان:

تحيل العودة إلى مجموعة من النصوص النثرية وإلى أشعار المتحامقين على تفسير متواتر لنشأة ظاهرة التحامق في العصر العباسي، وذلك بِرَدِّها إلى رداءة الزمان، زمان أضحى يعلي من شأن الحمق ويحط من شأن العقل حسب منطوق الثقافة. فجرى معنى شعريا كاد الشعراء يتواطؤون عليه؛ أي "هجاء الزمان وأهل الزمان وهم الذين يعاصرون الشاعر ولم يعرفوا فضله"[1]. ومن أمثلة ذم الزمان الأحمق، نجد الأشعار التي ساقها الجاحظ في الصفحات التي خصصها للحمق وأخبار الحمقى، كقول الشاعر[2]:

أَرَى زَمَنًا نُوكَاهُ أَسْعَدُ أَهلِه ولَكِنَّمَا يَشْقَى به كلُّ عَاقِـــلِ

مَشَى رِجْلَاهُ والرأسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الأَعَالِي بارْتِفَاعِ الأَسَافِلِ

من المعلوم أن العصر العباسي عَرَفَ تطورا فكريا ونظريا كبيرا على عدة مستويات، غير أنه شهد أيضا إحساسا بالتذمر من الواقع. وقد تجلى هذا الإحساس في صورة ذم الزمان، الذي اعتبرته مجموعةٌ من الأصواتِ الثَّقَافيةِ زَمَانَ حُمْقٍ، فعبرت عن حسرتها على ضياع زمانٍ كانت للعقل فيه مكانتُه المُعْتَبَرَةُ. وقد تجلى التعبير عنه من خلال هيمنة تِيمَةِ الانقلاب؛ انقلابُ الأعلى (العقل) إلى الأسفل (الحمق)، والأسفل إلى الأعلى، بشكل يتكرر عند مجموعة من الشعراء المتحامقين، ولدى غيرهم من الكتاب، ليتحول إلى بنية ثقافية معبرة عن هذا التحول المهم في الكون السيميائي العربي. ومن شواهد ذلك قول الشاعر المتحامق الأحنف العكبري[3]:

زَهَدَ النَّاسُ في العلو مِ وفي الشعروالأدب

و أتانـــا زمانُـــنـــا بعجيب من العجـــب

صار أعلاه سافلا فهو نكس قد انقلب

كل ما كان في الدما غ فقد صار في الذنب

---

1 - إبراهيم بن محمد أبانمي، **"التكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي تحليل ثقافي"**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 32، 2018، ص104.

2 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1998، ج 1، ص244.

3 - الأحنف العكبري، **الديوان**، تحقيق سلطان سعد السلطان، الرياض، د.ت، ص117.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وفي هذا الصدد ستأتي الدعوات إلى التكيف مع هذا الزمان المتحول الذي انقلب فيه أعلى وأسفل الكون السيميائي. ومن ثمَّ دعا كثير من الشعراء إلى مسايرة الزمان الأحمق بالتحامق، أي التحول من العقل إلى الحمق، لأنه زمان أحمق.

3. السخرية من العقل السائد:

على هذا الأساس، كان الشكل الثاني للسخرية عند شعراء التحامق هو السخرية من العقل السائد الذي يعلي من شأن الحمقى ويحرم العقلاء، ومن ذلك قول أحد الشعراء[1]:

إذا كان الزمانُ زمانَ حُمْقٍ   فإنَّ العَقْلَ حِرْمَانٌ وشُوم

فَكُنْ حَمِقًا مع الحَمْقَى فإني   أَرَى الدّنيا بِدَوْلَتِهِمْ تَدُوم

وكذلك قال بعضهم[2]:

رأيت العقلَ حِرمانًا وشُؤْمًا   وأهلَ الحُمْقِ في زيٍّ كَريمِ

فَكُنْ حَمِقًا تَنَلْ مالًا تَشْتَهِيه   منَ المَالِ المُوَفَّرِوالنَّعيمِ

كانت رداءةُ الزمان وحمقُه سَبَبًا أساسيا في الاتجاه إلى التحامق، وفي الآن نفسه كانت السخرية منه موضوعًا أثيرا عند المتحامقين. لكن إذا مَحَّصْنَا هذا الاتجاه أكثر فإنه في العمق لا يذم الحمق، وإنما يذم العقل السائد، باعتبار أن ذلك الزمان المذموم هو تجلٍ ونتاج للعقل، إنهم ينتقدون أشكال العقل السائد من أجل تحويلها إلى ما يرونه جديرا بسمة العقل، بهذا المعنى يصير التحامق سخرية من العقل السائد الذي يحط من قيمة الشعراء والعلماء ويبعدهم عن دائرة التأثير السياسي والثقافي، في حين يقرب الحمقى ويعلي من شأن الحمق. فإذا كان الحمق حسب صوت الثقافة العربية القديمة كَسَادًا وغلطًا في الطريق، فإنَّ العَقْلَ الذي يُنَدِّدُ بِهِ المُتحامقون في هذا العصر هو الكساد بعينه. على هذا الأساس فالتحامق من جهة نتيجةٌ لهذا العقل الكاسد، ومن جهة أخرى نقدٌ له، لكن هذا النقد ليس تمجيدا للحمق، بقدر ما هو تمجيدٌ لعقلٍ مفقودٍ مبحوثٍ عنه، وذمٌّ للعقل السائد. يؤشر ذلك على تحول مهم في مفهوم العقل السائد من كونه "صالحا" إلى غدوه "طالحا"، يقول الأحنف العكبري[3]:

---

[1] - ابن حبيب النيسابوري، **عقلاء المجانين**، مرجع سابق، ص48.

[2] - نفسه، ص 55-56.

3 - ابن حبيب النيسابوري، **عقلاء المجانين**، مرجع سابق، ص54.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

قَدْ كَسَدَ العقلُ وأصحابُـه   وفُتِحت للحمقِ أبوابُـه

فاسْتَعْمل الحمقَ تكنْ ذا غِنى   فقَدْ مَضى العقلُ وطُلّابُه

إذن يكمن الحل حسب هذه الفئة في الانحراف عن العَقْلِ الصِرّفِ الذي لا يجدي نفعا في نظرهم، والميل إلى ذلك العقل الطالح الذي أصبح سائدا في المجتمع، والذي يصير في خاتمة التحليل مترادفا مع الحمق. إن المتحامق استنادا إلى هذا الاستقطاب الهووي الثنائي؛ الصالح «Euphorie» والطالح «Dysphorie»، ووَفق مقولة الإرادة يتجه نحو الحمق، الذي أصبح حاملا لظلال قيمة ثقافية، المتحامق والثقافة واعيان بزيفها، لكنهما يجدان في الواقع الذي يعلي من شأن العقل الكاسد (الحمق) مبررا لهذا التحول.

سيعمل المتحامق، من جهة أولى بفضل هذا التحول على نقد العقل من الداخل؛ أي باستعمال آليات الحمق التي وسمت العقلَ المرغوب عنه، والمبنية على التناقض والانقلاب والتشويش والفوضى والهذيان. بعبارة أخرى يحاكي التحامق، بما هو كسادٌ، العقلَ الكَاسِدَ محاكاةً ساخرةً صريحةً أو مضمرةً. يقول **محمد إبراهيم أبانمي**: "لقد أفرز تعاضد العوامل السابقة كلها ثورةً غريبةً، ثورةً تُشبه الكفرَ بالعقل، وتَحْتَجُّ على تَعْطِيله بِتَعْطِيلِهِ"[1]. ومن جهة أخرى يَعمَلُ المُتَحامِقُ وهو يحاكي العقل السائد محاكاة ساخرة على إعادة صياغة علاقته بالعالم، ويحاول إصلاح ما يراه حمقا، لكن ليس بالجد، وإنما عن طريق السخرية، من أجل تذكير العقلاء بحقيقتهم، وهي أنهم حمقى.

4. تجليات خرق النسق:

إضافة إلى ما سبق نعثر في شعر المتحامقين وأخبارهم على ثلاثة تجليات لخرق النسق، تتمثل في: هدم الشعرية العربية بالتحول من شعر الجد إلى شعر الهزل، ثم تشكيل لغة مغايرة يمكن تسميتها لغة العبث، وأخيرا خرق نسق المظهر.

أ-هدم الشعرية العربية:

يتبدى هدم الشعرية العربية أو خرق النسق الشعري من خلال عدة أشكال، لعل أولها ما نجده عند رواة شِعْرِ وسِيَرِ المتحامقين من إلحاح وتأكيد على التحول الذي تأسست عليه تجربتهم الشعرية. وذلك بالانتقال من شعر الجِد إلى شعر الهزل، فيذكر الرواةُ أن هؤلاء كانوا جميعا شعراء مجيدين جادّين، لكنهم انقلبوا إلى شعراء هازلين،

[1] - إبراهيم بن محمد أبانمي، **"التكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي تحليل ثقافي"**، مرجع سابق، ص107.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

فيقول الأصفهاني عن أبي العبر مثلا: "كان صالح الشعر مطبوعا يقول الشعرَ المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام، إلى أن ولي المتوكل الخلافة، فترك الجدَّ، وعاد إلى الحمق والشهرة به"[1]. يُعوضُ أبو العِبَرِ وأتباعُه الجِدَّ، من حيث هو سمة أساسية للشعر الرسمي، بالهزل الساخر من الشعرية الرسمية. ويمكن تفسير هذا الاتجاه بعدم اعتراف الشعرية الرسمية بهؤلاء الشعراء أيام جِدِّهِمْ، عندما حُرِمُوا العطاء. ومن هنا، يعبر هذا التحول إلى الهزل عن رغبة في هدم هذه الشعرية التي حرمتهم الكسب، فلما أسسوا شعرية الحمق والهزل كسبوا المال الوفير. كان هذا حال أبي العبر والأحنف العكبري وأبي العنبس الصيرمي وأبي العجل، يقول ابن المعتز: "وكان أبو العجل من آدب الناس وأحكمهم وأكملهم عقلا وأشعرهم وأظرفهم، عالما بالنحو والغريب، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، قد نظر في شيء من الفلسفة، وكان مع هذا مقترا عليه، فلما رأى ذلك استعمل الغفلة والرطازة فلم يحل عليه الحول حتى اكتسب بذلك مالا كثيرا"[2]. ويروى كذلك أن أبا العبر: "كان من آدب الناس، إلا أنه لما نظر إلى الحماقة والهزل أنفق على أهل عصره أخذ منها وترك العقل، فصار في الرقاعة رأسا"[3]. كما يؤكد ذلك الشعراء المتحامقون أنفسهم باعترافهم اتخاذهم للحمق حِرفة، لأنهم رأوا العقل حُرفةً، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر أبي العجل[4]:

وإذا التعاقل حُرفـة فعزمت أن أتحــولا

فانظر إليّ أما ترى حال الحماقة أجملا

وقول: الرمقمق[5]:

قد أجمع الناس أن حمقي أحسن من عفتي وديني

وقد عشت دهرا أعول عقلي والناس إذ ذاك يبعدوني

فمذ تحامقت قد كساني حمقي وقد عالني جنوني

---

[1] - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، **كتاب الأغاني**، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 2008، ج 23، ص170.

[2] - ابن المعتز (عبد الله بن محمد)، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1976، ص452.

[3] - نفسه، ص342.

[4] - نفسه، ص342.

[5] - الثعالبي (أبو منصـور عبد الملك)، **يتيمة الدهر في محاسـن أهل العصـر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج 1، ص326.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

انقلب الشعراء المتحامقون من الجد إلى الهزل، فقلبوا في الآن ذاته معايير الشعرية. لكن لا يمكننا القول إن شعرية التحامق الجديدة احتلت مكانا متميزا في الكون السيميائي العربي القدي، بل ظلت على هامشه؛ حيث لم يحتف المركز بشعر التحامق كثيرا. ويتضح هذا التهميش من خلال حركة التدوين التي لم تعمل على جمع أشعار المتحامقين في دواوين خاصة، على الرغم من غزارة إنتاجهم الشعري. فكان شعرهم يَرِدُ في إطار التراجم والاستطرادات التي يوردها الكتاب العرب القدامى، كما هو الأمر عند الجاحظ، الذي ينظر إليها من زاوية الموسوعية التي ينبغي أن تميز الأديب، حيث قال: "وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يَرْوِ أشعار المجانين ولصوص الأعراب، ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، والأشعار المنصفة، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة"[1]. هذا، ولا يمكن للاهتمام الذي كان يلقاه المتحامق، عند بعض الأمراء والخلفاء والسادة الذين قربوه من مجالسهم، أن يدفعنا إلى القول بمركزية شعر التحامق في الكون السيميائي العباسي، ذلك أنه لم يحضر كغاية، بل وسيلة للإضحاك والتفكه بأقواله، وفي بعض الأحيان لِلَّعِبِ به، وهو ما يتجلى مثلا من خلال حالة أبي العبر مع الخليفة المتوكل الذي كان يرمي به في المنجنيق إلى الماء[2].

ب- لغة العبث:

تجلى خرق النسق اللغوي من تشكيل لغة مغايرة، يمكننا تسميتها لغة العبث. ومن تجلياتها ما نجده عند أبي العبر الذي هدم طرق الكتابة الشعرية المبنية على النظم والتنقيح والتأليف بين الدوال لبناء المعنى، وسلك مسلكا خاصا في الكتابة، يقوم على الجمع بين المتنافر من كلام عامة الناس وتدوينه. ولأن غاية أبي العبر الإتيان بشيء خارق، فإنه يتجاوز ذلك إلى تقطيع الأوراق، ثم إلصاقها بشكل عشوائي، ليحصل على نتاج سمته الفوضى والتناقض والتشتت، في تعبير عن عبثية الكتابة عنده. ذلك ما يوضحه الخبر الوارد عند الأصفهاني: "أخبرني عم عبد العزيز، قال: سمعت رجلا سأل أبا العبر عن هذه المُحالات التي يُتكلم بها: أي شيء أصلها؟ قال: أُبَكِّرُ، فَأَجْلِسُ على الجِسْرِ، معي دواة ودرج، فأكتب كل شيء أسمعه من كلام الذاهب والجائي والملاحين والمكارين، حتى أملأ الدَّرج من الوجهين، ثم أقطعه عرضا وطولا وألصقه مخالفا، فيجئ منه كلام ليس في الدنيا أحمق منه"[3]. وقد ربط **وسام حسين جاسم العبيدي** هذا المسلك في الكتابة بالتيار السريالي، إذ يقول: "ومقولة أبي العبر تذكرنا بمقولة (بروتون) رائد السريالية: (من المسموح وضع عنوان قصيدة نحصل عليها بالتجميع المجاني قدر الإمكان، بعناوين

---

[1] - الجاحظ، **البيان والتبين**، مرجع سابق، ج 4، ص23.

[2] - أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مرجع سابق، (القصة ملخصة عن) ص 173-174.

[3] - نفسه، ص173.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وأجزاء عناوين مقصوصة من الصحف)"[1]. لم تعد سمات لغة العقل المتمثلة في الانسجام والترابط وحسن التأليف والنظم هي الغاية من الكتابة، بل صارت لغة العبث هي المراد عند المتحامق الذي يهدف في ظاهر الأمر إلى الإضحاك، وفي العمق إلى السخرية من قواعد وقوالب اللغة بما هي امتداد لعالم العقل الذي حَرَمَهُ الرِّزْقَ.

يخرق الشاعر المتحامق أبو العبر السائد ويشوش اللغة وأنساقها، ومن مظاهر ذلك نَلْفِي لغةَ العبث التي ترتقي إلى ما نسميه بالهذيان، باعتبار أن لغته تُحَاكِي صورة المجنون الهاذي المستقرة في المتخيل العربي القديم، التي تقدم كلامه بوصفه غير منطقي وغير منسجم. تجدر الإشارة إلى أن الهذيان في حالة أبي العبر اختياري وإرادي ما دام مبنينا على التظاهر، بالإضافة إلى أنه مبحوث عنه، ومن صوره ما حكاه الراوي، إذ قال: "سأله أحدهم: يا أبا العبر لم صار دجلة أعرض من الفرات، والقطن أبيض من الكماة؟ فقال: لأن الشاة ليس لها منقار، وذنب الطاووس أربعة أشبار. وقال آخر: لم صار العطار يبيع اللبد، وصاحب السقط يبيع اللبن؟ فقال: لأن المطر يجيء في الشتاء، والمنخل لا يقوم به الماء. وقال آخر: لم صار كل خصي أمرد، والماء في حزيران لا يبرد؟ فقال: لأن السفينة تجنح، والحمار يرمح"[2]. تكشف إجابات أبي العبر، من جهة أولى عن ولعٍ بالعبثي واللامنطقي الذي يحرص على تثمينه، حيث إنه يأتي بإجابات متنافرة مع الأسئلة، تعبيرا عن حالة الهذيان المنشودة في التحامق بقول اللا شيء. وتشير من جهة ثانية إلى تفكيك الأسئلة المطروحة عليه، ما دامت تنطلق من مسائل تنزل منزلة البداهة، وكأن الإجابة الهاذية سخريةٌ من الأسئلة في حد ذاتها، بما هي أسئلة مُعْجِزَةٌ للعاقل والأحمق على حد سواء، فيأبى المتحامق إلا أن يأتي بإجابات أكثر غرابة وإدهاشا.

ومن تجليات لغة العبث والإدهاش عند الشاعر المتحامق، ما يأتي به من أشعار تحتفي باللامعقول «Le déraisonnable»، كقول أبي العبر[3]:

أَنَا أَنَا أَنْتَ أَنَا　　　أَنَا أَبُو العبرنَّه

أنا الغنى الحمقوقوا　　　أنا أخو المجنَّه

فلو سمعت بشعري　　　في الدس والوترنه

---

[1] - وسام حسين الجاسم العبيدي، **صورة المجنون في المتخيل العربي، من العصر الجاهلي إلى القرن الخامس الهجري**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، 2016، ص242.

[2] - ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، مرجع سابق، ص242.

[3] - ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، مرجع سابق، ص343.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

لكنت تضحك حتى تمسك البطْطنَّه

يُذَكِّرُ أَبُو العِبَرِ العقلاءَ بأن حقيقته هي حقيقة العقلاء في زمانه الذين صاروا في نظر المتحامقين أقرب إلى الحمق منه إلى العقل. فـ "أنا المتحامق" حسبه تلتقي مع "أنا العاقل"، على الرغم من الاختلاف في الانتماء بين انتساب الأنا الأولى إلى الحمق وانتساب الأنا الثانية إلى العقل، يذهب أبو العبر إلى تداخل الـ"نحن" والـ"هم" وانتفاء الحدود بينهما في الفضاء السيميائي الذي يتحرك فيه، لأنَّ حَالَ الأحمق حسبه لا يختلف إطلاقا عن حال العاقل، مادام الواصل بينهما هو حمق الزمان وعبثيته التي تتجلى في الإعلاء من شأن الحمق وإجزال العطاء للحمقى، وهو أحد الأسباب الرئيسية التي بَرَّرَ بها الشعراء المتحامقون اتجاههم، وكأنه يُذَكِّرُنَا على لسانِ ميشيل فوكو: "إن العقلَ الحقيقيَّ ليسَ خالِصًا من كل تواطُؤٍ مع الجنون"[1].

وفي السياق ذاته يذهب في الشطر الثاني إلى تسمية نفسه بأبي العبرنه أو بصيغة أخرى بأبي العبرة الذي على العاقل أن يرى ذاته فيه ويتعظ بحاله وتحوله. مما يذكرنا بتغييره لاسمه من أبي العباس إلى أبي العبر "كانت كنيته أبا العباس، فصيرها أبا العبر، ثم كان يزيد في كل سنة حرفا حتى مات، وهي أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك"[2]. إن تغيير الاسم تقليد أثير في تاريخ الجنون، ودال على تغير في هوية الشخص من خلال التحول عن العقل إلى الجنون، فبتغيير اسم المجنون ينزع عباءة العقل، ويلبس زي اللاعقل مثل قيس بن الملوح الذي تحول اسمه إلى مجنون ليلى، فاكتسب هوية جديدة تمتح من الحب والهوى والجنون، وأبي سعيد بن وهيب الذي تحول إلى لقب البهلول. وقد فتح عبد الفتاح كيليطو بنباهته المعهودة أبواب تأويل تغيير أبي العبر لاسمه، إذ تساءل في كتابه الحكاية والتأويل: "لماذا اختار شاعرنا كنية أبي العبر عوض كنية أبي العباس؟ أَلكي يعتبر به العقلاء؟ أ لأنه أخذ العبرة من الحياة فرأى التجانن أنفع من التعاقل؟ أم قصد أن يعكس الآية، أن يجعل اسمه يوحي بعكس ما هو عليه فاختار اسما يناقض نمط حياته الجديدة"[3].

يسترسل أبو العبر من خلال المقطع الشعري السابق في بناء العبث واللامعقول فيأتي بما يضاد العقل والمنطق، ففي حين يفتخر الشعراء عادة بالعقل والنهى، يعلي صاحبنا من شأن الحمق والجنون، فيقول: "أنا أخو المجنَّه" أي صاحب الجنون، الذي خوله الغنى، وبالتالي فما على العقلاء إلا الاعتبار به، لمن كان ذا عقل، أو الضحك لمن

---

[1] - ميشيل فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2014، ص45.

[2] - أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مرجع سابق، ص172.

[3] - عبد الفتاح كيليطو، **الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988، ص47.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

لم يرَ فيه عبرة. إنه يطرح العبث واللامعقول باعتباره لعبة لغوية مزدوجة، وجهها الأول حاملٌ للمعنى، يتوخى قارئا نبيها قادرا على سبر أغوار المعنى، ووجهها الثاني دون معنى، يتوخى متلقيا آخر؛ لذلك يرى المتلقي الأول في عبث أبي العِبَرِ عِبْرَةً، والبيتان الأولان موجهان إليه، بينما ينظر القارئ الثاني إليه بوصفه مشهدا فكاهيا أخرسا، وإليه وجه البيتين الأخيرين.

ت- خرق نسق المظهر:

ينضاف خرق نسق المظهر إلى الأشكال الأخرى للسخرية وخرق الأنساق الثقافية السائدة في الكون السيميائي العربي. فإذا كانت الثقافة بوساطة الآليات السيميائية المميزة لها تسهر على تكريس صورة نمطية للأحمق أو المجنون، فإن المتحامق يعمل على محاكاة هذه الصورة لكي تنطبق عليه ويتطابق معها، بل قد يتعدى ذلك إلى التفنن والزيادة في خرق نسق المظهر، لأن هذا الأخير محدد مهم في النظر إلى المجنون، وهو ما ينطبق على صورة المجنون في الثقافتين العربية والغربية، يقول روي بورتر: "افترضت الحكمة الشعبية أن الجنون متعلق بالمظهر، وتلك النظرة أفرزتها صورة الفنان والكاتب. وقد صُوِّرَ المجنون بصورة معياريةٍ ومُطَّرِدَةٍ، بوصفه كائنا غريبا وأشعث الهيئة. ويتبدى هذا في صورة الرجال الهائمين على وجوههم والذين تنتصب ريشة في رؤوسهم ويرتدون أسمالا ممزقة أو عجيبة. لا يلبسون في بعض الأحيان غير غرزة أو رتقة"[1]. تلك ملامح أساسية في صورة المجنون في الكون السيميائي الغربي والتي تتشابه كثيرا مع صورة المجنون في نظيره العربي. لقد عملت الثقافة العربية على نمذجة صورة معيارية للمجنون، تتبدى بعض مظاهرها من خلال ملابسه الرثة والممزقة كتمزق رأيه عليه، وفي أحيان أخرى نجده عاريا يطارده الصبيان، أو تَقَاذَفُهُ الطرقات في المدينة أو يهيم في البوادي أو الفيافي، غالبا ما يركب قصبة. إن في ذلك إحالة على إصرار الثقافة على مغايرة الصورة المرسومة للمجنون لصورة العقل تأكيدا للتقابل بين العقل والجنون، وتعزيزا لتعريف الجنون بما هو خروج عن العقل.

ستعرف هذه الصورة المستقرة في المتخيل العربي القديم طريقها إلى ظاهرة التحامق، حيث سيعمل شعراؤها على إعادة إنتاجها عبر عملية التظاهر دائما، بإنتاج صورة قادرة على تشويش نسق المظهر المتعارف عليه الموسوم بالعقل والضامن للوجود ضمن عالمه. ومن تجليات ذلك ما أورده ابن المعتز "لما صار المتوكل إلى دمشق تلقاه أبو

---

[1] - روي بورتر، **موجز تاريخ الجنون**، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة أحمد خريس، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، كلمة، أبو ظبي، 2012، ص78.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

العجل راكبا على قصبة، وفي إحدى رجليه خف وفي الأخرى نعل، وبين يديه غلام بيده غاشية، وعليه دراعة/ وعلى رأسه قَلَنسوة من الطوامير، فنظر إليه المتوكل فتبسم، وقال: ويحك جننت بعدنا فأنشأ يقول:

شَهْ شَهْ علَى العَقْلَلِ ما هو مِنْ شَكْلِي

صاحبه مفلولـــس قليل ذي الحيلـل

قد استرحت في الـ لوام والعذلـــــل

لما أبالي ما الـــذي قلت وما قيل لي

وحمقي قد صيرذا الـ ـعالم خولا لــلي

آمل أن يحملـنــي حمقي على بغلـل

فاستفرغ المتوكل ضحكا وأمر له بخلعة ووصله بعشرة آلاف درهم. ونقش على خاتمه: حُمِّقْتُ فَنَبُلْتُ"[1]. يحاكي المتحامق صورة المجنون، إذ يخرق نسق المظهر الثقافي عندما يحضر المتحامق راكبا على قصبة وبلباس متنافر مع المتواضع عليه. يمكن تفسير هذا التغيير في اللباس بالتغير في مفهوم العقل ووضعيته في تصور المتحامقين الذين يذهبون إلى البكاء على كساد العقل وأهله، وبالتالي فلا داعي للحفاظ على لباس العقل، بل ينبغي أن ينسجم اللباس الجديد مع الوضعية الجديدة المتمثلة في الحمق. وما دام التكسب بالحمق إحدى الغايات الأساسية للمتحامق، فإن تغييره للباس يأتي استجابة إلى رغبته في الإضحاك التكسبي، وهو ما فسر به أبو العجل تحوله أمام المتوكل، ببيانه أن سبب تحامقه هو أن صاحب العقل مفلس فقير، بينما للحمق على أبي العجل فضل كبير، بهذا المعنى يتخلى المتحامق عن المظهر العاقل ليتحلى بالمال. يقول وسام **حسين جاسم العبيدي**: "تخلى أبو العجل عن ثقافة النخبة ممثلة بالأدب واللغة وأيام العرب والتواريخ والفلسفة، واستبدلها بثقافة المضحك والإضحاك التي استكملت بعدة اللباس (التنكر) لخرق المألوف"[2]. بهذا المعنى فإن خرق نسق المظهر، يأتي إتماما لمظاهر الخرق الأخرى اللغوية والشعرية التي ميزت الشاعر المتحامق.

---

[1] - ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، مرجع سابق، ص452.

[2] - وسام حسين جاسم العبيدي، **صورة المجنون في المتخيل العربي منذ العصر الجاهل حتى القرن الخامس الهجري**، مرجع سابق، ص276.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

خاتمة:

تناول البحث الراهن ظاهرة التحامق في الشعر العباسي، وذلك بالتركيز على إبراز دلالات التحامق وماهيته التي تكمن في التظاهر بالحمق وإرادته من أجل الكسب ونيل الحظوة التي حرم منها بعض الشعراء، مما دفعهم إلى اتخاذ التحامق حِرفةً ومنهجًا وأسلوبًا، في الحياة والشعر. ثم بيّن البحث أشكال السخرية وخرق الأنساق عند شعراء التحامق في الشعر العباسي (أبو العبر وابن صلوة والأحنف العكبري)، ونوجزها على الشكل الآتي:

- السخرية من رداءة الزمان.
- السخرية من العقل السائد.
- هدم الشعرية العربية، بالتحول من شعر الجد إلى شعر الهزل، في تعبير عن سخرية شعراء التَّحامق من الشعرية العربية الرسمية التي لم تعترف بهم أيام جِدِّهم، فأسسوا لشعرية الحمق والهزل.
- تشكيل لغة مغايرة، وهي لغة العبث، هَدَمَتْ طُرُقَ الكِتابَةِ الشِّعرية المبنية على النّظم والتّنقيح وحسن التّأليف بين الكلمات لخلق المعنى، وعوضتها بجمع المتنافر وإلصاقه ببعضه، للحصول على نتاج سمته الفوضى والتناقض والتشتت واللامعقول.
- خرق نسق المظهر.

قائمة المراجع:

1.ابن المعتز (عبد الله بن محمد)، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1976. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، **كتاب الأغاني**، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 2008.

2.ابن حبيب النيسابوري، **عقلاء المجانين**، تقديم وتعليق نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، 2015.

3.ابن منظور (محمد جمال الدين)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

4.الأحنف العكبري، **الديوان**، تحقيق سلطان سعد السلطان، الرياض، د.ت.

5.الثعالبي (أبو منصور عبد الملك)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

6.الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة السابعة، 1998.

7.عبد الفتاح كيليطو، **الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988.

8.وسام حسين الجاسم العبيدي، **صورة المجنون في المتخيل العربي، من العصر الجاهلي إلى القرن الخامس الهجري**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، 2016.

9.إبراهيم بن محمد أبانمي، **"التكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي تحليل ثقافي"**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 32، 2018.

10. جهانكَير أميري، فاروق نعيمي، **"التحامق في الشعر المملوكي"**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 22، ربيع 2012.

11. روي بورتر، **موجز تاريخ الجنون**، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة أحمد خريس، هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث، كلمة، أبو ظبي، 2012.

12.ميشيل فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2014.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

قراءة في كتابي: "دروس في السيميائيات" و"في السيميائيات العربية القديمة" للدكتور حنون مبارك

A Review of the Books: "Lessons in Semiotics" and "On Ancient Arabic Semiotics" by Dr. Hanoun Mubarak

عبد الله بولنوار - إشراف أ.د. أحمد البايبي

(مختبر الخطاب وتكامل المعارف، الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية، المغرب)

Abdellah Boulenouar, Under the Supervision of: Prof. Dr. Ahmed Al-Baybi

Laboratory of Discourse and Knowledge Integration, Multidisciplinary Faculty of Errachidia, Morocco

Abstract:

This article provides an analytical reading of Dr. **Hanoun Mubarak's** books, **"Lessons in Semiotics"** and **"On Ancient Arabic Semiotics,"** highlighting his scientific project that integrates **phonology** and **semiotics** within a comprehensive vision that bridges **heritage and modernity**. The study explores how Dr. Mubarak developed semiotic studies by uncovering their deep-rooted foundations in Arabic intellectual history while analyzing methodological, terminological, and translational aspects in his works. The article also examines his innovative perspective, which extends beyond academic research to a reinterpretation of **Arab scientific heritage** through a contemporary lens, showcasing his pioneering contributions to **linguistics and semiotics**.

Keywords: Phonology, Semiotics, Linguistic methodology, Terminology, Translation, Hanoun Mubarak, Arabic linguistic studies, Heritage and modernity.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مستخلص:

يتناول هذا المقال قراءة تحليلية في كتابي **"دروس في السيميائيات "**و"في السيميائيات العربية القديمة" للدكتور **حنون مبارك**، حيث يُسلط الضوء على مشروعه العلمي الذي يجمع بين **الصو اتة** و**السيميائيات** في إطار رؤية تكاملية تجمع بين التراث والمعاصرة. يستعرض المقال كيفية تطوير الدكتور حنون مبارك للدرس السيميائي من خلال الكشف عن الجذور العميقة للسيميائيات في الفكر العربي القديم، مع تحليل قضايا المنهج والمصطلح والترجمة في مؤلفيه. كما يناقش المقال أبرز ملامح رؤيته التجديدية، التي لم تقتصر على البحث الأكاديمي فحسب، بل امتدت إلى إعادة قراءة التراث العلمي العربي من منظور حديث، مما يبرز إسهاماته الرائدة في مجال اللسانيات والسيميائيات.

الكلمات المفتاحية: الصواتة، السيميائيات، المنهج اللساني، المصطلح، الترجمة، حنون مبارك، الدرس اللساني العربي، التراث والمعاصرة.

تقديم:

من الثابت أن أي باحث في منجز الأستاذ حنون مبارك، يلاحظ أن الرجل كان موسوعيا، متعدد المشارب في المسار البحثي الذي قطعه، بين كونه باحثا، محاضرا في الصواتة واللسانيات والسيميائيات، كاتبا ناقدا، مترجما، شاعرا ومربيا، إلى أن صارت الصواتة محور اهتمامه، فبدأ مشروعه الرائد فيها بالتبلور، لصالح كامل النية في بناء صرح رصين للصواتة الحديثة، فالدعوة إلى تأسيس صواتة أخرى هي الصواتة البصرية.

ولكن هذا الأمر على جدّته، لم يجعل رجلا مُركّب الاهتمام مثله، حجرا على انشغال واحد، كان –لو تمّ- ليجعله مغلقا على ذاتها، وربما يُفضي به إلى لسانيات بيروقراطية وتكنوقراطية –على حد تعبيره-، بل دفعه إلى أن يُثمر عملا مُتَوَجِّها نحو قصد آخر، هذه المرة كان موسوما بكتاب: "**دروس في السيميائيات**" لأن هذا النوع من الدروس تحديدا، مستوعب للدرس اللساني وما هو خارج عنه، ما جعل الكِتاب يقوم مقام إظهار نية صاحبه، في العمل على تقديم سيميائيات نقدية مفتوحة.

ولأن التراث زاخر بهذه المعرفة، فإن الدكتور "**حنون مبارك**" في مرحلة تالية، توجه بما له من خبرة واسعة، وزاد فكري، صوب نفائس التراث في هذا المجال، لينتج كتابه اللاحق: "في السيميائيات العربية القديمة"، حيث قام

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

بالكشف عن كنوز المعرفة السيميائية السابقة لزمانها، فتنظيمها بطريقة منهجية، والإلماح إلى توافق أفكارها بين القديم والحديث.

وبغاية رصد جزء من هذا المشروع المتكامل، واعترافا بالجهود الجليلة التي بذلها صاحبه في خدمة التراث العربي، والدرس السيميائي منه خاصة، ثم ارتباطا بمقصد الوقوف على جهود علم كبير في اللسانيات بالمغرب والعالم العربي، هو الدكتور حنون مبارك، يأتي موضوع قراءة في المشروع العلمي (الصواتي والسيميائي...) للدكتور مبارك حنون لتوضيح رؤيته التكاملية والكشف عن قضايا المنهج والمصطلح والترجمة"، لأجل تقديم قراءة في مؤلفيه: "دروس في السيميائيات"، و "في السيميائيات العربية القديمة"، إذ تسعى الدراسة لِسَبْرِ غور هذين الكتابين، والكشف عن مقومات الدرس السيميائي فيهما، وأكثر ما يميّزه عند هذا القطب اللساني.

- **التعريف بالكتابين وسبب اختيارهما، وما يحاول المؤلف الإجابة عليه فيهما؟**

لبيان إسهام الأستاذ الدكتور حنون مبارك في زيادة المعرفة السيميائية تحديدا والكشف عن مقوماتها عنده، وأبرز ما يميزها، فإن هذه الورقة تسعى إلى القيام بقراءة في كتابي: "دروس في السيميائيات" و "في السيميائيات العربية القديمة".

فأما الأول منهما والمتقدّم زمنيا فكما هو ملاحظ يحمل عنوان: "دروس في السيميائيات"، وتم الاعتماد فيه على طبعته الأولى، التي كانت في 1987م، وتكفلت بها دار توبقال، مكتبة الأدب المغربي بالدار البيضاء، المغرب، وهو مكون من 114 صفحة من الحجم المتوسط.

وأما الثاني الذي يتكون عنوانه من عنصرين: عنصر أساسي: "في السيميائيات العربية القديمة"، وعنصر فرعي: "دراسات في نصوص قديمة"، فتم الاعتماد فيه -هو أيضا- على طبعته الأولى، والتي كانت متأخرة عن الكتاب الأول بكثير في 2019م، وتَشاركت في إعدادها: دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ومنشورات ضفاف، بيروت، وهو مكون من 135 صفحة.

ويأتي اختيار الأول منهما كجزء من الدراسة، نظرا لما دلّت عتبة عنوانه عليه إجمالا، بما بذرَتْهُ من نواة صلبة للموضوع، عمِلت مقدمة الكتاب على تفصيلها أكثر، بما تعهدته في بيانها ذلك الوعي الذاتي للكاتب، بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، في التطلع إلى العمل على تقريب الدرس السيميائي، ولكن ليس بأي طريقة وكيفما كانت، بل كما ورد في منابعه الأولى، بشكل أمين وباصطلاحات عربية دقيقة، ما استطاع المؤلِف لذلك سبيلا، يقول: "لا أتوخى من

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

هذا الكتاب سوى تقديم مجموعة من المعارف الضرورية والمفاهيم الأساسية للسيميائيات. وقد حاولت جهد المستطاع أن أكون أمينا في نقل وتعريب النصوص المعرِّفة بهذا العلم ومفاهيمه وأمينا للتعبير العربي رغم وفرة المصطلحات الأجنبية التي تطلّب مني وضعها بعض الاجتهاد"[1].

وهو الجهد المبارك الذي سيعمل على تتمته من خلال مؤلفه الآخر، لكن هذه المرة بتوجيه النظر إلى الأفكار السيميائية العميقة، في نفائس تراثنا في هذا المجال، ومن هنا يأتي منطق اختيار الكتاب الثاني يقول حنون مبارك فيه: "ونرمي في هذا الكتاب، إلى أن نضع بين يدي القارئ معلومات كانت مبعثرة هنا وهناك، تتناول الظاهرة نفسها و الحقل نفسه"[2]، وهو يقصد حقل السيميائيات، وظواهره في التراث العربي، لأجل الكشف عن التكامل بينه وبين الحديث في النظرية السيميائية، فالإجابة عن إشكال: إن كانت البشرية فعلا، والعرب منهم خاصة، قد أنتجوا عدداً من مكونات هذه النظرية؟ أم أن حبل التواصل المعرفي في هذا الحقل، منقطع أصلا بين القديم والحديث؟

ولعل القارئ إذْ يقف على هذا الرهان الخاص، والمتكامل بين الكتابين -أي تقديم المعارف السيميائية على حد سواء، عند الغرب في الكتاب الأول ثم مدّ جسورها بما عند العرب في الثاني- أن يتفق معي في التساؤل: ما علاقة هذا بالرهان الأكبر للدكتور حنون مبارك، والذي كشفت عنه كتب أخرى لاسيما تلك المتعلقة بمشروعه الساعي لبناء صرح رصين للصواتة الحديثة؟ فالدعوة بعدها إلى تأسيس الصواتة البصرية؟ وما أصل هذا الميل من الدرس اللساني إلى الدرس السيميائي؟ وبالتبع لذلك ما السياق العام لورود هذين الكتابين؟

نبادر إلى القول: إن ما تميّز الدكتور حنون مبارك من تشعب الموارد، والاهتمام مركّب، حال بينه وبين أن يكون حجرا على انشغال واحد، كان –لو تمّ- ليجعل انشغاله اللساني جافا، وبالتبع لذلك –ربما- ليجعله مغلقا على ذاته، الأمر الذي دفعه هروبا من الوقوع في شرك الانطوائية، وإدمان التخصص الواحد، إلى أن يُثمر عملا مُتَوَجِّها نحو قصد آخر منفتح على مجال أكثر رحابة، كان هذه المرة ما كشف عنه تأليفه لكتابه هذا "دروس في السيميائيات"، ثم كتاب: "في السيميائيات العربية القديمة" في مرحلة تالية.

والسبب أن هذا النوع من الدروس تحديدا مستوعب للدرس اللساني وما هو خارج عنه، ما جعل الكِتاب الأول خاصة، يقوم مقام إظهار نية صاحبه في العمل على تقديم سيميائيات نقدية شمولية مفتوحة على مختلف المجالات المعرفية، يقول: "وكي لا يكون الانشغال اللساني جافا ويفضي إلى لسانيات بيروقراطية، وتقنوقراطية،

---

[1]- مبارك حنون، 1987م، ص 5.

[2]- مبارك حنون، 2019م، ص 11.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

أصدرت عملي الموسوم بـ"دروس في السيميائيات". كنت قد قصدت منه أساسا محاولة تقديم سيميائيات نقدية مفتوحة"[1].

ذلك يفضي بنا إلى السؤال الآتي: **ما هي القضايا التي يزدان بها هذان الكتابان: "دروس في السيميائيات"، و "في السيميائيات العربية القديمة"؟ وما إسهامات المؤلف في الدرس السيميائي من خلالهما؟**

- **القضايا المحورية لكتاب "دروس في السيميائيات"، وكتاب "في السيميائيات العربية القديمة"، وإسهامات المؤلف في المجال السيميائي من خلالهما.**

مشهد مباحث كتاب: "دروس في السيميائيات"، يتوزع على أربعة فصول، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، وفهارس: المراجع الأجنبية والمصطلحات والموضوعات.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان: "التواصل والدلالة والبرمجة"، ويتكرس اهتمام الكاتب فيه لتحقيق مفهوم مختلف فيه جدا، ألا وهو مفهوم "الإخبار"، مع الوقوف على عناصر، وهنا وجد إشكالا متعلقا بتعدد الدلالات، غير أن بسط القضية باعتماد التحليل البنيوي في فهمها، وذلك من خلال خطاطة "روني طوم" (René Thom) المسماة "سيرورة الإخبار"، وهي تضم نواة هذه العملية: المستخبر، المخبر، والرسالة، بينما غيرها من العناصر، تبقى اقتضاءات تابعة لها لا أكثر، بما فيها تلكم الدلالات التي تعود للمجالات غير التقنية: كالإخبار بالمعنى البوليسي، والمعنى الصحفي، وكذا معنى تقنيات الإشهار، أو حتى التقنية: كمعناه عند كل من شانون وويفر (Shannon and Weaver)، والذي يعني نظرية للتواصل.

وبخصوص عناصر تشكل الإخبار فيذكر أن شانون لخصها في: المصدر، الرسالة، المتلقي والقناة، وزاد عليه أمبرطو إيكو (Umberto Eco) السنن (نسق من القواعد) ولكن حنون دقّق في الأمر فاكتشف أن الإخبار في حالة "إيكو" يخص عالم العلامة لا عالم المعنى، ولهذا أضاف لما ذكرَ شانون عنصرا آخر، هو تحقيق المنفعة للمستخبر مع التأكيد على جزئية مهمة، وهي أن بنية الإخبار المثالية لابد فيها من: مرسل ورسالة ومتلقي وسنن وأنواع سننية فرعية وقناة ومقام ومنفعة.

[1] - مبارك حنون، 2021م، على: http://ar.babmagazine.ma/

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

هذا ويرى د.حنون فيما قدمه ياكوبسون (Jakobson) بخصوص عناصر التواصل اللفظي في نموذجه المختزل والذي تضم: المرسل، الرسالة، المرسل إليه، السياق (أو المرجع)، السنن، والاتصال، يرى أنها لا تأخذ في الحسبان التعقيد الذي يلازم عملية الإخبار والتواصل، لأن هذه العملية جد معقدة، ولهذا فهو يقترح: ثمان خطاطات أخرى تتلاءم مع مختلف الأنساق الدالة، سواء كانت لفظية أم غير لفظية، اجتماعية أو طبيعية.

وفي هذا الظرف بالذات قام بعرض الآراء حول علاقة التواصل بالدلالة وبالبرمجة، ما أوصله إلى اعتبار المدلول وحدة ثقافية ليس إلا، كما رأى ذلك أمبرطو إيكو، بل وكون فهم اللغة لا يتم إلا باعتبارها ظاهرة اجتماعية.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني الموسوم بـ"الأنساق الدلالية"، نجد الكاتب بادئ الأمر يتتبع تعريفات "النسق"، فيذكر أن لوكومنسيف عرفه باعتباره لعبة دلائل، بينما روسي لاندي (Rossi Landi) باعتباره مجموعة جدلية مكونة من أنواع سننية، تتحقق في الواقع بين مرسل ومتلق في ظروف ملائمة، وتضم قواعد استعمالها الخاص. أما كرانجر (Granger) ففضّل بَدَلَ سابقيه أن يعوّض هذا المصطلح بآخر هو النسق الرمزي، وهو عنده مجموعة من الدلائل المعطاة فعليا أو القابلة فعليا للبناء.

وفيما يتعلق بانقسام الأنساق الدلالية عرض د.حنون ثلاث منظورات مختلفة: أولها: منظور روسي لاندي، الذي يقوم على مفهوم القيمة، وهي عنده إما أنساق دلالية طبيعية، وإلا فأنساق دلالية اجتماعية، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى لفظية، وغير لفظية. وثانيها: منظور أمبرطو إيكو الذي يقوم على معيار ثقافي، فيَسْتفيضُ في الحديث عن تفريعاتها، حتى بلغ بها ثمانية عشر نسقا. أما المنظور الثالث فهو لمدرسة طارتو "Tartu" السوفياتية، ويقوم على ما هو لغوي وما هو بخلافه، ويقتصر على قسمين: أنساق مندمجة أولية، وأنساق مندمجة ثانوية بالتبع للأولى.

وفي هذا الخِضمّ تبلور للكاتب سؤال المركزية بين الأنساق، ولئن كانت هي جميعا ذات قيمة كبيرة بغض النظر عن كونها لفظية أو غير لفظية، إلا أنه ينقل لنا أن أمبرطو إيكو يرجح كفة الأولى منهما مبررا ذلك بكون كافة الأنساق ترجع إليها، فضلا عن أنها مدروسة بشكل أفضل. وفي المقابل نجد "روسي لاندي" يرفض هذا الطرح ولا يقبل بإعطاء الأسبقية لأي منهما، والكاتب في ذلك على قول الأول منهما في المسألة.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وبخصوص الفصل الثالث فإن د. حنون مبارك تناول فيه مصطلحا آخر جد مهم وضروري في السيميائيات، هو مفهوم "الدليل"، دون أن يفوّت ملامسة أهم القضايا المتعلقة به، فنجده يقدم تعريفات متداولة باعتبار بعض الخلفيات المختلفة مع إيلاء أهمية كبرى لهذا المفهوم عند "بروس".

فيذكر في مستهل الفصل أولا: أن الدليل عند سوسير (Saussure) وحدة نفسية ذات وجهين: دال ومدلول، بينهما علاقة اعتباطية. وعند رولان بارت هو غير بعيد كثيرا عن سوسير، إلا في قضية الاعتباطية هذه فإنه يرى أنها ستسبب مشاكلا في بعض الحالات كالصورة مثلا. بينما "أمبرطو إيكو" زاد على سابقيه إمكانية أن يحتوي الدليل الأيقوني على الخاصيات المرئية، الوجودية، والتعاقدية. وقام باختين (Bakhtine) وشارُودُو (Charaudeau) بربط الدليل بالإيديولوجيا، فحيثما كان الدليل كانت الإيديولوجيا، لأنه عندهما كيان ملموس وانعكاس للواقع.

أما سندرس بورس (Sanders Peirce) فيرى أن الدليل عبارة عن شيء ما يعوض شيئا معينا (موضوع) بالنسبة لشخص معين، وذلك وفق علاقة معينة أو صفة معينة، إنه حصيلة ثلاثة عناصر بينها علاقة ثلاثية: موضوع (واقعي أو قابل للتخيل أو غير قابل له)، وممثل (أي صورة صوتية أو مرئية لكلمة ما)، ومؤول (صورة ذهنية مترابطة مع كلمة أو غير مترابطة معها).

والفصل الرابع يستقصي "الاتجاهات السيميوطيقية"، كما يدل على ذلك عنوانه، وقد أوصلها د.حنون إلى ست، أولها: تصور "سوسير" للسيميولوجيا: ففي وقت لم تكن موجودة كمجال مخصوص، نجد صاحب القِدَم في هذا المجال ، سوسير يتنبأ بها كعلم شمولي جديد، ويتوقُّع موقعه في خارطة العلوم، باعتباره فرعا من علم النفس العام، بينما اللسانيات هي فرع منه، وأما موضوعها فاستشف أنه مجموع الأنساق القائمة على اعتباطية الدليل، بينما يبقى المنهج هو ذاته منهج اللسانيات.

وتطلَّب الاتجاه الثاني سيميولوجيا التواصل القام باستلهام ما جاء به سوسير، لأجل أن يقوم على مبدأ اعتبار الدليل أداة للقصدية التواصلية لا غير، وهذه الوظيفة عندهم تشمل جميع البنيات السيميوطيقية الألسنية وغير الألسنية، لتكون السيميولوجيا بذلك هي دراسة طرق التواصل.

وعلى العكس من معادلة سوسير في اعتبار اللسانيات فرعا من السيميولوجيا، نجد سيميولوجيا الدلالة، أو سيميولوجيا اللسان التي تُعزى إلى رولان بارت، تقول بالعكس فترى أن البحث السيميولوجي مرده إلى مسألة

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الدلالة، وكل المجالات ذات العمق السيميولوجي الحقيقي، تفرض علينا مواجهة اللغة، لأن كل الأشياء تحمل دلالات، وما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية دالة لولا امتزاجها باللغة، فهي إذن تكتسب كينونتها تلك من اللغة التي تنشأ داخلها، لا خارجها كما كان يُتَخيّل.

وبخصوص الاتجاه الرابع الذي هو سيميوطيقا بورس: فإن المجال سيتوسع أكثر ليجعل السيميوطيقا تمتزج بالمنطق والإبستمولوجيا والظاهراتية والرياضيات، فتصير علما شاملا مفتوحا، بإمكانه أن يدرس ويستوعب مختلف العلوم والظواهر الطبيعية والثقافية، باعتبارها جميعا ظواهرا دالة، وأنشطة رمزية ينجزها الإنسان. ولا يضيق الأمر مع رمزية كاسيرر (Cassirer) وإن اختلفت الرؤية: كون هذه تقوم على التمييز بين طبيعة النوعين الإنساني والحيواني، فالإنسان يتميز بالنسق الرمزي لكونه لا يحيا في واقع مادي شاسع، بل في عالم رمزي يعتبر اللغة والدين والفن وغير ذلك منه. وأما الاتجاه الأخير والسادس فسيميوطيقا الثقافة: وهي تنطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية، فكل نسق ثقافي هو نسق تواصلي يستلزم بالضرورة تبادل علامات. وهذا الاتجاه تحديدا كان ذا طرح قوي، بحيث جعل د.حنون مبارك أثناء مناقشته لمسألة معقدة، هي الإحالة والمرجع ومشكلة الدلالة، جعله يتبنى وجهة نظره الثقافة، دون سائر الاتجاهات الأخرى في معالجتها لهذه المسائل.

هذا بخصوص القضايا المحورية لكتاب "دروس في السيميائيات"، وإسهامات المؤلف في هذا المجال من خلاله. أما الكتاب الثاني: "في السيميائيات العربية القديمة"، والذي هو قفزة واسعة إلى التاريخ، لردم جزء من ركام القطائع في السيميائيات، فاشتمل متنُه على ثلاثة فصول فضلا عن إهداء، وكلمة بعنوان "ما قبل التقديم"، التقديم، خاتمة، ولائحة المصادر والمراجع.

أما الفصلان الأولان فانبثقا من أعمال سابقة سبق للكاتب نشرهما من قبل، واحد قدم به لكتاب الاتجاهات السيميائية الحديثة، الذي كان قد ترجمه مع ثلة من الباحثين، وهو هنا يعيد نشره مزيدا ونقحا، والثاني: نشره على حلقتين في مجلة "دراسات أدبية ولسانية"، التي أصدرها إلى جانب زملائه، أما الثالث: الذي هو عبارة عن نصوص من التراث وما يرافقها من توضيحات، فيقوم بنشره لأول مرة.

وعلى ضفاف الكتاب وقف حنون مبارك في "ما قبل التقديم" على أقسام الكتاب والهدف من تأليفه ممثلا في جمع الإرهاصات السيميائية المبعثرة عند العرب لأجل سد الفراغ في تاريخ السيميائيات البشرية التي لم تكن لتأتي دفعة واحدة. بينما هو في "التقديم" -الذي يلاحظ أنه خرج فيه عن المألوف-، يفرّعه إلى عدة عناوين صغرى بلغت

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

أَحَدَ عشَرَ، واشتملت في مضامينها على أفكار قيمة، تحيل في جملتها على أن الإنسان دليل بامتياز، ومنذ ظهوره وهو يستعمل الدلائل في حياته، ما يجعل السميأة حسب الكاتب –أو العملية الترميزية هي نقطة البداية، لينتقل الأمر بعدها إلى ما سيُعرف من العلوم، دون إقصاء الفلسفة خاصة مع أفلاطون وأرسطو، باعتبار كل ذلك من الدلالات التي قامت هي بدورها، بإيجاد جذوة البحث في طبيعة الدلائل وأنساقها، ليتمكّن أحد لسانيي القرن الماضي وهو سوسير من بناء توقّعه المبدئي لما سيحدث في المستقبل من ظهور لهذا العلم، فانتشاره فيما بعد في اتجاهين كبيرين: أحدهما سوسيري والآخر بورسي تفرّع عنهما اتجاهات أخرى، هي ذاتها ما توسع فيه كتابُه الأول "دروس في السيميائيات"، إلا ما تعلّق برمزية كاسيرر فإنه لم يذكرها في هذا التقديم إلا باعتبار استفادة سيميولوجيا الثقافة منها.

وبالانتقال إلى الفصل الأول الذي خُصّ بعنوان: "في بعض الدوال وصلاتها بالمدلول والشيء الخارجي"، نجد أن المؤلف قام بمسح معرفي لِمَا يمكن اعتباره إرهاصات تقدح زناد السيميائيات، من خلال وضع العرب للدوال، ومختلف الأنساق السيميائية، ومكانةِ النسق اللفظي الذي هو أسهلها وأحسنها عندهم، لينفذ كلامه في هذا الفصل بنتيجة مفادها أن العرب قد امتلكوا مشروعا سيميائيا يتسم بالعمق النظري، والضبط في وسائل التحليل، بما وفروه من أدوات ومفاهيم معرفية وإجرائية.

وفي الفصل الثاني: "تصنيف الدلالات أو تصنيف للدلائل؟" أخذ يكشف عن نسق الدلائل في التراث العربي، وتشريح مكوناتها والاختلاف حولها، وما يترتب على تصنيف الدلالات من تصنيف الدلائل، وبهذا المعنى نجده يميز علاقة الدال بالمدلول من وجهتي نظر مختلفة: وجهة نظر المناطقة، ووجهة نظر البيانيين، وهو ما أثرى هذا الموضوع، وانتهى به إلى تحديد علاقات مختلفة بين الدوال والمدلولات، بعضها يعود للعلاقة التلازمية: من وضع واقتضاء للطبع (العلاقة المعللة) وعلّيّة ومعلولية، وهو ما جعل الدلالات عند هؤلاء: وضعية وعقلية وطبيعية. وبعضها يعود لعلاقة الدال بالمدلول من جهة تغطية الأول منهما للثاني، وذلك بأتمه أو جزء منه أو استلزام المعنى للمدلول، وهو ما أسس هذه المرة لدلالات: المطابقة، التضمن، والالتزام.

أما ثالث الفصول وهو الأخير: "نصوص مختارة من التراث العربي"، ففيه نجد أن المؤلف يقوم بانْتِخَاب ثمانية نصوص متنوعة من الثقافة العربية القديمة، بغاية الإسهام في تكوين صورة مكتملة، عن مجهود هؤلاء في الصَّوْغِ المتدرج للسيميائيات، مدعمة بإسهام الكاتب بإضاءات وشروح وتعليقات، تستغرق في مناقشة الدليل، والتوسع في أنواع أخرى منه، وفي تفريعاته وتقسيماته، وطبيعة علاقات مكوناته ببعضها ضمن مجالات أخرى: كالجدل،

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

الخطابة ،الأصول، العربية، علم الفراسة، والطب، ما انتهى بالدليل إلى التوسّع لأنواع أخرى: قطعي، وظني، وعقلي، نقلي، برهاني، أمارة، علامة، قرينة، تمثيل،وقياس، واستقراء، مع بيان المهجور منها كدلالة الالتزام إلا ما جوّزه أرباب هذه العلوم بشأن تعريفاتهم لها.

لينتهي في الخاتمة إلى تلخيص ما ورد في المتن من الإشارة إلى تنوع الدلائل والدلالات عند العرب القدماء، وإثبات نتيجة أن السيميائيات عندهم متعددة ومفتوحة، فتأكيد الافتراض بخصوص أن هؤلاء أنتجوا مفاهيما إجرائية، ومقاربات تلتقي وتتباين بحكم مجال البحث المتنوع بين المنطق والبيان والأصول وعلم الكلام وعلم الفراسة والطب وغيره ما ينتهي بنا إلى مُحَصّلة مفادها: أن كلا من العقل السيميائي العربي، ونظريه السيميائي الحديث متقاطعين.

- **سؤال المنهج (طرائق العرض) في الكتابين، والتوافق والتباين بينهما.**

لن نشغل أنفسنا في هذا العنوان كثيرا بالوقوف على المصطلحات المتواترة في الكتابين، اللذين قد تناولها د. حنون مبارك فيهما، بلغة واصفة مناسبة، أكرهته على أسلوب واحد، كان عمادةُ انتقاء ألفاظ وعبارات، تشكل السمات القاعدية للدرس السيميائي، وتعود للحقل الدلالي المتعلق به أكثر من أي حقل دلالي آخر.

ولكن حسبنا هذه الإشارة نظرا للإطلالة الشاملة عليها بالعنوان السابق، وذلك لصالح التركيز على العدة المنهجية التي اشتغل بها الكاتب، وتؤكد تمكنه من التعامل مع مادته العلمية بشكل صحيح، وفي ذات الوقت فعّال في إيصالها إلى المتلقي.

لقد كان التوجه العام الذي بنى الكاتب عليه مادة كِتابيه، يقوم بالأساس على مبدأ التدرج من العام نحو الخاص، والانتقال من التعميم إلى الأجزاء التوضيحية، إذ ما أكثر ما كان ديدنُه أن يفصح في العنوان -الذي يلخص الفكرة الرئيسية لموضوعه-، أو في مستهل المبحث عن المراد دراسته في الفصول أو العناوين الفرعية منها، ثم بعدها ينطلق لتجلية عناصره، ولتنظر على سبيل المثال إلى الفصل الأول من الكتاب الأول: "دروس في السيميائيات"، فإنّك تجد العنوان: "التواصل والدلالة والبرمجة" محددا لعناصر موضوعه العام، والتي يريد تحقيق مفاهيمه، ثم هو بعدها يكرس اهتمامه لبيانها بالتفصيل.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وهو ما أكده أيضا انطلاقه في ذات الفصل على ذات النسق من الإشارة -بشكل مجمل- إلى مسلمة مألوفة بتعبير بسيط غير متكلّف في، مفادها: تعدد الدلالات المتعلقة بمفهوم "الإخبار"، بقوله: "عادة ما نسند إلى لفظ الإخبار في الاستعمال، عدة دلالات مختلفة..."[1].

لينطلق بعدها إلى تلكم الدلالات بالتتابع حسب استعمالاتها المتنوعة، مُسْتَدْمِجا منها المألوفة وغير المألوفة، ما يعود منها للمجالات غير التقنية: كالإخبار بالمعنى البوليسي، المعنى الصحفي، والمعنى الإشهاري، ثم ما يعود منها للمجالات التقنية: كمعناه في البيولوجيا، حيث يتعلق الأمر بالإخبار الوراثي لنوع حي، وغيره من المعاني. متجاوزا ذلك كله إلى الخوض في عناصر تشكل "الإخبار" وما يتعلق بها مستعينا بالحجج والأدلة المناسبة والمعطيات الموضحة لها.

وهذه الطريقة تحديدا هي ما كان يجعل الكاتب يتوسع في موضوعاته بالكتابين معا على قدم المساواة، فيحيط بتجليات تلك الموضوعات، وتفاصيلها الصغيرة والكبيرة، فضلا عن إتيانه ذلك، معية المقارنات والاستشهادات، الأمر الذي ينعكس أحيانا في كثرة الصفحات التي تفترشها موضوعاته، فيوهم الأمر أن الكاتب أحيانا يقع في الإطناب رغم أن الأمر بخلافه تماما وإنما هي الحاجة إلى تقصي مناحي الموضوعات والأفكار فيها.

وكان المؤلّف تارة بعد أُخرى يميل إلى الأسلوب الاستقرائي، وهو ما يتأتّى له من خلال طرح سؤال صريح، أو عدة أسئلة ثم تاليا، يقوم بالبحث في الجواب المناسب لذلك، فيعرض الآراء المختلفة حوله وصولا إلى نتيجة تركيبية، تتعلق بما يراه هو في الموضوع، ومن هذا النوع ما قام به في الفصل الثاني بالكتاب الأول، حينما تحدث عن علاقة مملكة الدلائل بمملكة الطبيعة، قال: "هل يجب أيضا اعتبار الأنساق الدلالية المضمرة في العلاقات الحيوانية في تجمعاتها أنساقا دلالية طبيعية لا غير؟ وهل تكون هذه التجمعات الحيوانية مجتمعات بالمعنى الصحيح للكلمة؟"[2].

ومثله في الكتاب الثاني حيث يقول في عنوان فرعي كان وسمه "في معنى الدلالة": "فكيف تنشأ الدلالة وتتكون؟ وما معناها؟ يقول الشيخ إبراهيم الباجوري "اعلم أن الدلالة تطلق...""[3]، فها أنت تراه وقد استهل كلامه

---

[1]- مبارك حنون، 1987م، ص 7.

[2]- مبارك حنون، 1987م، ص 25.

[3]- مبارك حنون، 2019م، ص 38.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

بالسؤال عن الدلالة، ثم بعدها هو يتخذ ذلك، مطية لبلوغ مآربه في تقديم الإجابات، بحيث تسمع في كلامه الاستشهاد بالباجوري، وعرض رأيه في تعريفها، فالآراء الأخرى المختلفة بشأنها، وهكذا دواليك.

وعلى مقربة من هذا نجده على ذات النهج في خضم حديثه عن الأنساق اللفظية والأنساق غير اللفظية، في الكتاب الأول، حيث يتساءل في مستهل حديثه: "أي صنف من هذين الصنفين يبدو الصنف الأهم والمميز؟ أهو صنف الأنساق اللفظية أم صنف الأنساق غير اللفظية؟ وما هي الأسس الموجهة لأية نظرة من النظرتين؟"[1]، ثم ينقل لنا رأي "أمبرطو إيكو"، وانتصاره للأولى وبعده رأي "روسي لاندي" الذي رفض الرأي الأول، سائقا مبررات كل طرف على حدى، ليختم الجدال في المسألة بمعارض الثاني منهما، والانتصار للأول مدعما رأيه بالأدلة.

لقد كان د.حنون مبارك، لا يسوق شيئا في كتابيه إلا ويستشهد عليه بأقوال وآراء تبيّنه، أو تدعم رأيه فيه، ولذا كثرت الأسماء بشكل كبير، بانتماءاتها المختلفة: كالسيميائيات واللسانيات والفلسفة والمنطق والرياضات والنقد أو غيرها من التخصصات الأخرى، ومن هؤلاء الأعلام نخص بالذكر: سوسير، بورس، رومان ياكبسون، روسي لاندي، روني طوم، إرنست كاسيرر، إيكو، بارت، باختين، شارُودُو، ولوكومنسيف...إلخ، مع حضور طاغ لهؤلاء في الكتاب الأول "دروس في السيميائيات"، مقارنة بالكتاب الثاني "السيميائيات العربية القديمة"، الذي اختص بالتراث العربي، فكان الحضور الأكبر من نصيب علوم أخرى: كالمنطق والبيان والأصول وعلم الكلام وعلم الفراسة والطب وغيره، ما انعكس في الاهتمام بأعلام آخرين من هذا التراث أمثال: الجاحظ، والسكاكي، والتهانوي، والجرجاني صاحب التعريفات، والقرافي، والشاطبي، والسيوطي وابن سينا، والرازي...إلخ.

ولا يخفى أن قامة هؤلاء الأعلام، وحجم حضورهم بهذا المستوى الكبير، على ما بينهما من هوة زمنية سحيقة، يضيء للقارئ أن د. حنون مبارك، فعلا كان يعمل بالبوصلة الموجهة لسلوكه في الكتابين، فالتزم بالوفاء بما راهن عليه، من اعتكافهِ على تقديم الدرس السيميائي، بما منه شقه المطمور فيما خلفه السّلف من آثار علمية، تماما كما وعد بلسان قلمه، في مقدمة مؤلف "دروس في السيميائيات" التي انطلق منها، بخصوص العمل على تقريب الدرس السيميائي، كما ورد في منابعه الأولى.[2]

هذا ولم يكن حنون من الصِّنْفَة التي تجتر الكلام لتعيده لنا من غير الإتيان بشيء جديد، ولو من خلال جمع ما تناثر في أسفار سلف العرب، أو الترجمة الأمينة لأفكار سابقيه من خلف الغرب، بل هو يقوم بما يقوم

---

[1]- مبارك حنون، 1987م، ص 29.

[2]- ينظر: مبارك حنون، 1987م، ص 5.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

به، بطريقة معرفية واعية، وبخصال الباحث الذي يتمتع بالأمانة العلمية، بحيث نجده مثلا في مؤلف "في السيميائيات العربية القديمة"، يمهّد للنصوص السيميائية التراثية، ببيان مقاصد أصحابها، ثم هو إذا دمجها كما هي في بحثه، معيّنا مرجعها الأصلي، والمحقق، ودار النشر، والتاريخ، والصفحة، في المتن لا الهامش، أعقبها بعناوين شارحة مفصلة، ما كانت في حاجة إلى مزيد بيان.

ومن ذلك، ما قام به في الفصل الثالث لهذا الكتاب، وبالضبط مع النص الخامس، حيث عنونه هكذا: "النص الخامس للسكاكي مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1983، صص32-33"، ثم أتبع هذا، بعنوان صغير يحمل تسمية: "تمهيد للنص"، فالنص: وهو بعنوان "علم البيان، في أنواع الدلالات"، فعنوان آخر توضيحي من غير الأوليَيْن هو: "إنتاجية الدلالات العقلية"[1].

أما في مؤلفه الآخر: "دروس في السيميائيات"، فلم يكتف بإخراج الترجمة عن طريق نقل الآراء بأمانة من الأصول، بل يقوم بهذا الجهد الذي لا يسعنا إلا أن نشيد به، دون أن يثنيه ذلك، عن موافقة أصحابها حينا، ومعارضتهم حينا آخر لا سيما إذا كان بها بعض القلق العلمي، مقترحا على قارئه الجديد والأفيد فيها.

ومن الأول –الذي يوافق أصحابه فيه على سبيل المثال لا الحصر- ما كشف عنه حول علاقة التواصل بالدلالة وبالبرمجة، والذي دفعه إلى اعتبار المدلول: وحدة ثقافية ليس إلا كما رأى ذلك أمبرطو إيكو[2]. وفي المقابل لم يدخر جهدا في معارضة ياكبسون في خطاطته الإخبارية التواصلية، والحكم عليها بالبساطة أمام هذه العملية المعقدة، معللا رأيه، وشارحا مفسرا ليتقدم باقتراح مفصل، يتضمن ثمان خطاطات إخبارية وليس خطاطة واحدة، وهي جميعا تأخذ في الحسبان التعقيد الذي يلازم عملية الإخبار والتواصل لتتلاءم مع مختلف الأنساق الدالة سواء كانت لفظية، أم غير لفظية، وسواء كانت اجتماعية، أو طبيعية[3].

ذلك أكبر شهادة على تلكم الطريقة الواعية لهذه القامة المتدفقة بالعطاء، والتي هي ذاتها كانت من خلف غوصه، فيما يعرضه من آراء ومعلومات، ويقوم بتقليبها على وجوهها، وتقديم الملاحظات حولها، ومراجعتها والتدقيق فيها، لأجل ضبطها والتأكد من صحتها، أو كشف مزالقها التي قد تؤدي إلى استنتاجات خاطئة.

1- ينظر: مبارك حنون، 2019م، ص 113-116.

2- مبارك حنون، 1987م، ص 20.

3- م، ن، ص 13-15.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ولا أدل على جهده ذاك مما قام به في الكتاب الأخير نفسه أثناء عرضه عناصر الإخبار، حيث ذكر أشهر الآراء حولها، بما فيها رأي أمبرطو إيكو الذي يضيف لها السنن (نسق من القواعد)، ولكن د.حنون يرى أن الإخبار في الحالة التي يتحدث عنها "إيكو"، إنما هو يخص عالم العلامة لا عالم المعنى، ويرى كذلك أنه عندما يتعلق بالآلة لابد فيه من متطلبات ثلاث: مصدر فيزيقي، وجهاز مستقبل عبارة عن آلة، واشتراك المتلقي والمرسل في سنن واحد. أما إذا تعلق الأمر بالإنسان فالأمر مختلف بحيث يتوحد المصدر والمرسل، ونستبدل الآلة المستقبلة بالإنسان فننتقل من عالم العلامة إلى عالم الإنسان[1].

ولئن جاءت العدة المنهجية التي اشتغل بها الكاتب فعالة في إيصال مادة كتابيه هذين إلى المتلقي نظرا لتنوعها وتناسبها مع موضوع كل منهما على حدى، فإن ذلك ما كان ليتحقق لولا حرص الكاتب على تماسك مفاصل تلك المادة: فصولا، مباحثا، فقرات، وأفكارا. وهو ما تأتّى له من خلال الاضطلاع بتنظيمها تنظيما محكما يقوم على انتقاء أدوات الاتساق المناسبة والمتنوعة.

ولننظر مثلا لكلامه في الفصل الثاني من "دروس في السيميائيات"، وما أمر المؤلف الآخر: "في السيميائيات العربية القديمة" منه ببعيد، وبخاصّة حديثه عن نسق الدلائل بعدما عرض مجموعة من التعريفات للنسق الدال، يقول: "وإذن فالدلائل ترتب داخل أنساق معينة متغايرة مغلقة مثل نسق الكتابة، نسق الموسيقى...إلخ. إلا أن إغلاق النسق لا يعني بأي حال من الأحوال عدم إمكان صنع دلائل أخرى من الممكن إدراجها ضمن النسق نفسه شريطة أن يخضع صنعها لنفس القواعد التي بنيت على أساسها دلائل النسق المعني، وما عدا هذا الإمكان فإن قائمة الدلائل ينبغي أن تغلق وإلا فإننا لن نكون بإزاء نسق..."[2]

وإن يكن النص قصيرا فإنه مع ذلك حشد كمًّا كبيرا من الروابط المناسبة، ما يعكس قدرة لغوية للكاتب تجعله كامل التحكم في ناصية اللغة، حيث نجد: الاستنتاج بـ"إذن"، وهي وإن كانت أداة ربط، فإنها أيضا إحالة تذكّرنا بما سبق، ما يعكس الانسجام بين السابق لها واللاحق من القول بعدها، كونها تدلّ على أن ما يليها نتيجة منطقيّة للقضايا المذكورة قبلها، ذلك فضلا عن غيرها من الروابط من قبيل: العطف والاستئناف (الواو، الفاء)، والتمثيل (مثل)، والمقابلة و التعارض: بالنفي (لا، ما)، والاستثناء (إلا)، ثم التوكيد (أن، إن، إننا، اسمية الجمل)، والشرط (أي)، والربط في جملة الصلة (التي).

---

[1]- ينظر: مبارك حنون، 1987م، ص 10-11 (بتصرف).

[2] - مبارك حنون، 1987م، ص 22

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ومِلاك القول فإن اللغة الواصفة المعتمدة التي تقوم على انتقاء ألفاظ وعبارات تشكل السمات القاعدية للدرس السيميائي، والأسلوب الأعم الذي يتميز بتقصي مناحي القضايا والتوسع فيها والعدة المنهجية التي أساسها الانتقال من التعميم إلى الأجزاء التوضيحية، وما يرافق ذلك من مقارنة، استشهاد، تساؤل، معارضة حينا وموافقة حينا آخر، فضلا عن غنى الملاحظات، والاقتراحات المقدمة، وصولا إلى مظاهر الاتساق والانسجام.

كل أولئك بمثابة الدليل الذي يجسد ما للدكتور حنون، من تكوين علمي رصين جعله يكتسب أدوات القراءة والتحليل فضلا عن ثقافته السيميائية المتينة، التي تجعله في عِداد كبار النقاد والمنظرين في ميدان السيميائيات، بمؤلفيه هذين خاصة، ولا أدلّ على ذلك مِما يمكن اعتباره تأريخا للأفكار السيميائية عند العرب من خلال كتابه: "في السيميائيات العربية القديمة"، ومِن وقوفه بالمرصاد لقامات لها الباع الطويل والقدم الراسخة في هذا العلم أمثال ياكبسون وأمبرطو إيكو ومَن على غرارهما، في الكتاب الآخر: "دروس في السيميائيات".

القيمة العلمية للاستنتاجات المركزية المتوصل إليها، ونقاط القوة، وما لم يتعامل معه المُؤلّف بما فيه الكفاية فيهما:

تسليط الضوء على القيمة العلمية لأي كاتب لا يمكن أن يتم إلا بالوقوف على رأس ماله وثروته، ممثلين في ميزاته وحسناته، وعلى رأسها في هذا الكتاب، تقديمه لمعرفة سيميائية مهمة، كنا كقارئين للدرس السيميائي بحاجة ماسة لها سواء تلك المتعلقة بالدرس السيميائي كما قدّمه الفكر الغربي، أو تلك المتعلقة بنصوصنا التراثية القديمة، والتي تشي بجهود السلف في الصَّوْغِ المتدرج للسيميائيات، فضلا عما رافق ذلك مِن إسهام للكاتب بإضاءات وشروح وتعليقات تستغرق في مناقشة قضايا هذا المجال، والتوسع في تفريعاته، ضمن عدة مجالات أخرى قديمة: كالجدل والخطابة والأصول والعربية وعلم الفراسة والطب، أو بخلاف ذلك، حديثة كما هو الأمر مع اللسانيات والفلسفة والرياضات والنقد أو غيرها من التخصصات الأخرى.

وكذا قيام الكاتب بشرح مفاهيم معقدة ومختلف فيها من وجهات نظر مختلفة بطريقة تجعلها في المتناول، مع ما رافق ذلك من ضبط وتحقيق لتلك المادة، وترتيبها بصورة مبتكرة مفيدة، كما كشف العنوانان السابقان عنه، بعيدا عن الضبابية والخلط.

والحاجة الماسة هذه، هي ذاتها التي جعلت من الكتابين معا مفتاحا لباب هذا التخصص المعرفي نظرا لما احتضنه من المعارف السيميائية الضرورية، القديمة والحديثة واتجاهاتها المختلفة –على ما بين الكتابين من الفرق بينهما باعتبار خصوصية كل منهما، ومركز اهتمام الكاتب فيه، فمثلا نجده وقد اهتم في الأول منهما بستة

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

اتجاهات حديثة، بينما هو في الثاني يشير بإيجاز إلى خمس فقط، ويركّز في المقابل على المعرفة السيميائية السابقة عند العرب.

وليس هذا فقط، بل وما رافق ذلك من ميزات أخرى، أهمها ما بدله الكاتب من جهد في نقل وتعريب الكثير من النصوص الأساسية من مصادرها ومراجعها القيّمة، بعيدا عن الاجترار، سواء في الكتاب الأول عامة: "دروس في السيميائيات"، أو في الفصل الأول من الكتاب الثاني "في السيميائيات العربية القديمة"، فضلا عن عرض اختلاف رؤى اللسانيين والمنظرين والفلاسفة والنقاد الغربيين، حول أهم المفاهيم المختلف فيها، في الكتاب الأول منهما، ورؤى أهل الجدل والخطابة والأصول والعربية وعلم الفراسة والطب، في الكتاب الثاني. الأمر الذي لا غنى عنه، في التعرّف بالدرس السيميائي من زاوية مبتكرة لم يسبق إليها، توصله إلى الخلف إيصالا متصلا ومتلاحقا لا سيما إذا أضفنا له ما رافقه من نقاشات جادة كانت تنتهي غالبا باقتراحات للكاتب تغني النقاش ويُطعم الكاتب بها العديد من القضايا[1].

وقام الأستاذ حنون بالأمر دون أن يفوته إشباع حاجة جوهرية في هذا الدرس، إنها تلك التي تتعلق بالشمولية، وهو ما قام به أيضا من خلال عديد المجالات التي بحث فيها –كما ذكرنا من قبل-، وكذا من خلال ما تفرّد به كتاب: "دروس في السيميائيات" من إلقاء الضوء على تلكم الاتجاهات جميعا من خلال تصنيف خاص بالمؤلف، أكثر اتساعا وضبطا مقارنة بغيره، لأجل ألا يقصي أيّ اتجاه منها. بل والقيام بإنصاف ما يرى منها، أن الثقافة العربية بخسته حقه، لا سيما سيميوطيقا بورس، وسيميوطيقا الثقافة المستفيدة من رمزية كاسيرر، واللتان حازتا على جانب كَبيرٍ من الاهتمام، الذي يكسبهما مزيدا من العلم والمعرفة.

وتصنيفه الشمولي هذا، هو ما جعله يقرّرُ بأسلوب السيميائي الواثق، أن يوصل الاتجاهات السيميوطيقية إلى ست، في تباين كبير مع غيره من الدارسين لهذا الموضوع، فعلى سبيل المثال يتضح الفرق بالوقوف على تصنيف الدكتور محمد السرغيني، والذي ألف كتابه "محاضرات في السيميولوجيا"، فحكم على تفريعات السيميائيات بأنها لا تسير إلا في اتجاهين اثنين هما: سيميولوجيا الإبلاغ، وسيميولوجيا الدلالة[2]، رغم أنه هو ذاته ميّز بعدها في كتابه هذا بين ثلاثة اتجاهات، هي: الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الروسي، والاتجاه الفرنسي[3].

---

[1] - ينظر مثلا نقد حنون مبارك لخطاطة ياكبسون في التواصل، واقتراحه لثماني خطاطات أخرى، تأخذ في الحسبان التعقيد الذي يلازم هذه العملة، وتتلاءم مع مختلف الأنساق الدالة بغض النظر عن نوعها: لفظية أو غير لفظية، واجتماعية أو بخلافها طبيعية، مبارك حنون، 1987م، ص 13-15.

[2]- ينظر: محمد السرغيني، ص14.

[3]- م، ن، ص55، وما بعدها.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

هكذا بهذه العمومية باعتماد تقسيم جغرافي-سياسي أقلّ ضبطا، كونه لا يأخذ بعين الاعتبار ماهية التلاقح بين الأفكار بغض النظر عن مكانها، والتأثر والتأثير الذي لا يراعيهما هذا النوع من التقسيمات، وإنما هو يقتصر على البلد الذي مثل مهد ذلك الاتجاه، دون مراعاة امتدادات بين يدي الغير، مِمَن هم خارج تلك البلدان الثلاثة، على الرغم من أن هذا الكتاب خاصة، كانت طبعته الأولى متقدمة زمنيا، في التاريخ نفسه للطبعة الأولى لمؤلف حنون مبارك: "دروس في السيميائيات"، أي 1987م.

ويضاف إلى تميز كتاب حنون مبارك بالنظرة الشمولية، ما يمكن اعتباره تنظيرا لسيميائيات عامة، توسع ما كان حجره الآخرون، وهو ما تجلّى في جهده لإعادة السيميائيات إلى موقعها الطبيعي ضمن مجموع النشاطات الفكرية للإنسان لاستعادة المكانة التي تليق بها، وذلك باستعراض مختلف الاتجاهات السيميائية والأطاريح المتعلقة بها من شتى التخصصات التي اخترقتها السيميائيات والتي عمل المؤلف على انتشالها منها لأجل إعادة بناء أسسها ومفاهيمها، وأدواتها، فإحالتها على الدرس السيميائي خالصة له من دون سائر التخصصات، لا اللسانيات، ولا الفلسفية، أو علم النفس، أو الإبستمولوجيا، أو المنطق أو غيره، باعتبار أن مجال السيميائيات، وحده يشمل الحياة كافة، والحيز الوجودي الواسع، والكفيل وحده -أيضا- باحتضان مختلف العلوم والمعارف، والتحكم فيها.

وهو ما يدلّ عليه تصريحه في كتابه "دروس في السيميائيات بقوله: "ورغم أن الكتاب يبدو عرضا لأفكار واتجاهات مختلفة فإن في طياته سيميائيات تنقد نفسها باستمرار وتعيد بناء أسسها ومفاهيمها وأدواتها بعيدا عن أية نظرة ميتافيزيقية أو مثالية. فإما أن تكون السيميائيات نقدا للواقع ولنفسها، باعتبارها جزءا من هذا الواقع، وإما ألا تكون. ولعل أهم ما يترتب عن ذلك بالنسبة إلى هذا العلم تداخله مع عدة مجالات معرفية، وبالتالي إعادة السيميائيات إلى موقعها الطبيعي ضمن مجموع النشاطات الفكرية للإنسان متجاوزة بذلك ما قد يلصق بها من هيمنة وتوسعية"[1].

ولنفس الغاية دعا الأستاذ مبارك، إلى ضرورة تطعيم السيميائيات النظرية بسيميائيات تطبيقية، تطال مختلف أوجه الحياة[2]، وفي ذات السياق وللغاية ذاتها أيضا تنشأ خاصيتان أخريان من خصائص هذا العمل المثمر، هي خاصية الضبط والدقة، فالتحري والاستباقية، حيث قام المؤلف أولا: بتصحيح خطأ شائع، يتعلّق بالاعتقاد أن السيميائيات لا تعدو أن تكون في نشأتها استدانة من ديسوسير وبورس، بينما الحقيقة أن نشأتها

---

[1]- مبارك حنون، 1987م، ص5.

[2]- م، ن، ص5.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

تعود إلى الفكر والفلسفة عند اليونان، وما أضافه العرب القدامى على جذورها من إسهامات متفرقة في تخصصات مختلفة، يقول حنون بهذا الخصوص: "لا يبدو أن للسيميائيات تاريخا واحدا. فهي لم تنشأ مع سوسير أو مع بورس. إذ تعود نشأتها إلى الفكر اليوناني مع كل من أرسطو وأفلاطون والرواقيين. إلا أن بدايتها تلك قد كانت عبارة عن أفكار متناثرة هنا وهناك تفتقر إلى إطار نظري تتساوق داخله. ومنذ تلك الفترة، لم يخل الفكر الإنساني المنطقي والفلسفي والبلاغي من عطاءات ذات بال. وضمن هذا الإطار تندرج عطاءات العرب القدامى"[1].

ثم بعدها تاليا قام بالإلماح في الكتاب الأول إلى موضوعات استباقية هي ذاتها مادة الكتاب الثاني المستوحاة من التراث، ولكن هذه المرة وبشكل مخصوص تكون متعلقة بإيجاد نظرية عربية في السيميائيات بعيدا عن الترجمة والاستيراد المعرفي بل من خلال ردم الهوة التي تفصل بين السيميائيات وتراثنا وترك القطائع المعرفية بينهما لأجل الإبحار إلى أعماق التراث العربي لاستخراج مكنوناته من السيميائيات والتوسّع الذي عرفه هذا المجال عندهم، وهو ما أوصله لنتيجة أن السيميائيات عند السلف متقاطعة مع نظيرتها الحديثة، يقول معللا: "وباختصار فإن العقل السيميائي العربي عقل فتح عددا من الأسئلة المتناسل انفتاحها ولم يغرقها لأن المعرفة، وهي فعل سيميائي كانت مبعث الفكر السيميائي العربي القديم، وهو ما يجعله يتقاطع مع الفكر السيميائي الحديث"[2].

تلكم كانت بعض حسنات الكتابين ونقاط القوة التي أوصلنا لها التقصي المتأني فيهما، وهي تشهد لحنون بأنه قد أدّى ما عليه وبذل وقته ومهجته في سبيل إخراج الكتابين على تلكم الشاكلة الوافية المستوفية.

هذا ويمكن بإبداء ملاحظة عرضية عامة حول ما لم يقم بالتعامل معه بما فيه الكفاية، وذلك حول أثاره فيهما:

أما الكتاب الأول "دروس في السيميائيات، فيلاحظ فيه ما يلي:

- **أولا:** افتقاد الكتاب لفهارس الأعلام، على غرار ما فيه من فهارس: المراجع الأجنبية والمصطلحات والموضوعات.

ثانيا: بالتبع للملاحظة الأولى، لا توجد أيضا ترجمات لها.

ولو وُجدا معا –على بساطة الأمر-، لأضافا الكثير لهذا العمل، خاصة أن الكتاب يروم تقديم معرفة سيميائية، تمتح من منابعها الأصلية، وهو ما لا يمكن أن يتحقق دون العودة لتلك القامات الكبيرة في هذا التخصص أولا،

[1]- مبارك حنون، 2019م، ص 131.

[2]- مبارك حنون، 1987م، ص 102.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

وثانيا في غيره من العلوم التي يتحكَّم هذا التخصص فيها أو تلكم التخصصات المتاخمة له، كالمنطق والفلسفة والنقد مثلا، أو المتداخلة معه كاللسانيات.

ثالثا: فهرس المصطلحات الواردة في الكتاب: لو تم إرفاقها بمفاهيم أو تفسيرات موجزة لكان أفضل، ولو جزءا بالاقتصار على ما يمكن أن يَنْبَهِم معناه، ويستغلق فهمه على القارئ، لا سيما أن بعضها يعود إلى مجالات متعددة غير السيميائيات: كالفلسفة، المنطق، الرياضيات، البيولوجيا، البنيوية، علم الأصوات، والتداولية...إلخ.

رابعا: على أهمية ما أفاض الكتاب فيه من أنواع العلامات وما يتعلق بها من علاقات ومكونات وأنظمة وغيرها، إلا أنه يفتقر للجانب التطبيقي، فلو أن الدكتور مبارك حنون، خصّص جزءا منه لمستويات هذا الجانب، بدراسة بعض العلامات بغض النظر عن نوعها لسانية أو غير لسانية– على أنه لو كانت متنوعة من شعر وقصة وصورة وإشارة ورمز...إلخ لكان أفضل-، لأجل أن يتم تقديم تصور متكامل للدرس السيميائي، ليس على المستوى النظري فحسب، وإنما على مستوى التحليل والممارسة أيضا، لمن يريد أن يسلك طريق التحليل السيميولوجي لأثر أي علامة.

وأما المؤلف الثاني "في السيميائيات العربية القديمة"، فيلاحظ فيه:

أولا: رغم غنى المادة السيميائية المعروضة عند العرب في هذا المؤلف والذي يجعله سابقا للعود إلى مثل هذه النصوص القديمة، والقيام بمسح معرفي لأجل جمع ما كان مبعثرا منها وفيها، إلا أن حنون مبارك -وعلى غير المتوقع-، لم ينته إلى وضع نظرية سيميائية عربية، أو حتى عدة نظريات خاصة بمجالات معينة، رغم أن ما قدّمه من زاد نظري يمكّن من فصل الكلام في ذلك وتحقيق الفكرة التي نظن أن كتابه كان يقصد إلى الدفاع عنها، مكتفيا باعتباره ذلك كله مجرّد إرهاصات تقدح زناد السيميائيات، من خلال وضع العرب مختلف الأنساق السيميائية، لينفذ كلامه بنتيجة: أن العرب قد امتلكوا مشروعا سيميائيا يتسم بالعمق النظري والضبط في وسائل التحليل بما وفروه من أدوات ومفاهيم معرفية وإجرائية[1].

1- ينظر مثلا: مبارك حنون، 2019م، ص33، ص: 52 (بتصرف)

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ثانيا: في هذا الكتاب بعض الاضطراب المصطلحي، كما يدل على ذلك السياق الذي وردت فيه، ثم مناقضتها لما عندنا على الأقل، أكتفي منها بمصطلحين للتمثيل في إيجاز شديد: أولها استعمال الكاتب لمصطلح "الإنسان البدائي"، مؤكدا أنه الإنسان الأول منذ ظهوره[1]، وهو ما يخالف نظرية خلق الله تعالى لآدم عليه السلام.

خاتمة:

بناء على ما سبق من قراءة في الجهد السيميائي المبارك للأستاذ حنون مبارك في مؤلفيه: "دروس في السيميائيات"، و"في السيميائيات العربية القديمة"، يتضح أن هذا الجهد قدّم الكثير من الخدمات لهذا النوع من الدروس نجمل أهمها في **النتائج** الآتية:

- تقديم رؤية شاملة حول أهم المفاهيم السيميائية المختلف فيها، ورؤى المنظرين والفلاسفة والنقاد الغربيين بشأنها.
- إشباع حاجة جوهرية في هذا الدرس، تتعلق بالشمولية، من خلال عديد المجالات التي بحث د.حنون فيها، وكذا من خلال ما تفرّد به كتابه: "دروس في السيميائيات"، من إلقاء الضوء على الاتجاهات السيميائية جميعا، من تصنيف خاص بالمؤلف، أكثر اتساعا وضبطا مقارنة بغيره، لأجل ألا يقصي أيّ اتجاه منها .
- التنظير لسيميائيات عامة، توسع ما كان حجره الآخرون، وهو ما تجلّى في جهد الكاتب لإعادة السيميائيات إلى موقعها الطبيعي، ضمن مجموع النشاطات الفكرية للإنسان لاستعادة المكانة التي تليق بها، باعتبار أن مجال السيميائيات وحده يشمل الحياة كافة، والحيز الوجودي الواسع، والكفيل وحده -أيضا-باحتضان مختلف العلوم والمعارف والتحكم فيها.
- قيام كتاب: "في السيميائيات العربية القديمة" بجمع مادة علمية مهمة متناثرة في التراث العربي، تتعلّق بالأفكار السيميائية ثم تقديمها من خلال قراءة جديدة وطريقة بحث مغايرة، تعمل على التأصيل للنظرية السيميائية.
- التعريف بالدرس السيميائي من زاوية مبتكرة لم يسبق إليها، توصلهُ إلى الخلف إيصالا متصلا ومتلاحقا، يُمكّنُ من ردم الهوة التي تفصل بين السيميائيات وتراثنا العربي.

---

[1]- م، ن، ص13

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

- إبحار حنون مبارك في أعماق التراث، لاستخراج مكنوناته من السيميائيات، والتوسّع الذي عرفه هذا المجال عند العرب، وما وصل له بخصوص وضعهم لمختلف الأنساق السيميائية، يمكن اعتباره لبنات أولى نحو التأصيل لنظرية عربية في السيميائيات، بمنأى عن الترجمة والاستيراد المعرفي.
- بيان أن السيميائيات عند السلف متقاطعة مع نظيرتها الحديثة.
- اكتشاف حقائق سيميائية جديدة تصَحّح بعض المعطيات المغلوطة، منها أن السيميائيات لا تعدو أن تكون في نشأتها استدانة من ديسوسير وبورس، بينما الحقيقة أن نشأتها تعود إلى الفكر اليوناني، ثم ما أضافه العرب القدامى إلى جذورها من إسهامات.

وبإضافة ذلك إلى اللغة الواصفة المعتمدة التي تقوم معجم يشكل السمات القاعدية للدرس السيميائي، والأسلوب الذي يتميز بتقصي مناحي القضايا وما يرافق ذلك من عدة منهجية. يتبيّن أن ذلك جميعا أكبر شاهد على ما للدكتور مبارك حنون من تكوين علمي رصين، جعله يكتسب أدوات القراءة والتحليل، فضلا عن ثقافته السيميائية المتينة، التي تجعله في عِداد كبار النقاد والمنظرين في ميدان السيميائيات، ولا أدلّ على ذلك مِما يمكن اعتباره تأريخا للأفكار السيميائية عند العرب من خلال كتابه: "في السيميائيات العربية القديمة"، ومِن وقوفه بالمرصاد لقامات لها الباع الطويل والقدم الراسخة في هذا العلم، أمثال ياكبسون وأمبرطو إيكو ومَن على غرارهما، في الكتاب الآخر: "دروس في السيميائيات".

قائمة المراجع:

1. مبارك حنون، دروس في السيميائيات، دار توبقال، مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1987م.
2. مبارك حنون، ضرورة مأسسة نشر معرفة لسانية حديثة من منظور نقدي، حاورته: زهور السايح، المجلة الذكية للوكالة المغربية للأنباء (BAB)، 1 فبراير 2021م، على: http://ar.babmagazine.ma
3. مبارك حنون، في السيميائيات العربية القديمة: دراسات في نصوص قديمة، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ومنشورات ضفاف، بيروت، ط: 1، 2019م.
4. محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1407هـ/1987م.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية
ISSN 2311-519X - DOI Prefix: 10.33685/1317
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي